
المسيخ الدجال
مصطفى محمود

المسيخ الدّجّال

أفضل ما تهبه في حياتك

العفو عن عدوك .. والصبر على خصمك

والإخلاص لصديقك

والقدوة الحسنة لطفلك

والإحسان لوالديك

والاحترام لنفسك

والمحبة لجميع الناس

الغلاف : بريشة الفنان مصطفى حسين

مقـــدمة

رسائل كثيرة جاءتنى أثنـاء نشر « المسيخ الدجال » يسأل أصحابها •• هل يجوز لأحـد أن يدخل أحدا فى الجنة أو النار •• وهل يجوز لأحد أن يدعى العلم بنتيجة الحساب فى الآخرة •• وهل دخل أحد فى علم الله أو اطلع على الغيب •• وهل هذا الكلام من الدين •

وقد أخطأ الذين قرأوا روايتى بهذا المفهوم وأرى لزاما على أن أوضح فليس ما كتبت دينا ولا علمـا بل هو فن وخيال وأسطورة وهو يدخل فى باب الفانتازيا والرؤى •

والرواية كوميـديا سياسية تستخدم هـذا الاطـار الفانتازى لتنقد شخصيات وآراء ومذاهب ولتخوف من مصير الظلم والظـالمين ولتورد العبرة والحكمة والعظـة ولتلتمس لها مداخل سهلة الى القلب •

وليس فيما كتبت دعوى علم أو دعوى نبوءة بل هى آراء قد تخطىء وقد تصيب وخيـال لا يشبه الواقع فى شىء •

وقد نكون نحن فى هذا اليوم المشهود أسوأ حالا من كل من نقدناهم نعوذ بالله من المقت والابعاد •

انما هو الفن •• والفن الخير •• الذى لا يريد سوى التحبيب فى الخير والتنفير من الشر •

ولم أكن فى يوم من الأيام رجل دين بل أنا فنان دخلت الى رحاب الدين من باب الفضل الالهى ومن باب الحب والاقتناع وليس من باب الأزهر وكان حكمى حكم الشاعر الذى أحب الله فكتب فيه قصيدة وبنى له بيتا ولكنه ظل دائما الفنان بحكم الفطرة والطبيعة •• ذلك الفنان الذى مملكته الخيال والوجدان •

والفن كان دائما ضعفى وقوتى •

ومثل كل فنان كان للجمال على مداخل •

وكنت ابن آدم الخطاء •

ولهذا لم أدع لنفسى عصمة •

ولهذا ما رأيتنى نازعت أحدا خطأنى ولا كرهت أحدا صوبنى •• بل عهدت نفسى دائما أراجع ما أكتب وأصحح

فيه الطبعة بعد الطبعة •• وأقبل بصدر مفتوح نقد الآخرين •• فان رأيتنى كتبت صوابا فمن الله وان كتبت خطأ فمما سولت لى نفسى •

بهذه الروح أحببت دائما أن يقرأنى الناس فما تصورت نفسى أبدا مفسرا لقرآن أو حاكما فى قضية فقه أو شريعة وانما هى محاولات فهم من مفكر دوره لا يزيد على اثارة العقل واخراجه من رقاده وايقاظ القلب من مواته ، وتفتيحه على محبة الله فان استطعت أن أحمل رجلا مبتعدا الى العودة الى طريق الحق •• والى فتح المصحف •• فهذا غاية رسالتى ومنتهى مرادى وأقصى دورى •• أما ما يبقى من شأن تفقيه هذا الرجل فى دينه فهذا دور العلماء الأجلاء والمتخصصين وحسبى أنا أنى قد جئت به الى بابهم وأثرت حبه وفضوله وأيقظت استعداده فما أنا بالعالم ويخطىء من يقرأنى على أنى عالم بل أنا مجرد فنان محب ينتهى دوره عند اثارة حب الحق والحقيقة فى قلب قارئه وفى هذا فليحاسبنى القراء والنقاد ولا أكثر •

وعن ضعفى وأخطائى لا يملك الا الله أن يرحمنى واليه أتوجه فى كل لحظة لا يكف لى خوف ولا رجاء •

وأحسب أن هذا حال توفيق الحكيم حينما يكتب فى الاسلاميات أو طه حسين حينما يكتب فى السيرة أو العقاد حينما يكتب فى القرآن فمثل هؤلاء لا يحاسبون كفقهاء ولا أحد يقرأ لهم كما يقرأ للشافعى وابن حنبل وأبى حنيفة وانما نقرأ لهم كفنانين ومفكرين يحدثوننا عن الله بلغة جديدة فيها جلوة الفن فيستطيعون أن يجتذبوا بهذه اللغة فراشات مبتعدة غافلة لم يكن من الممكن أن تصل اليها لغة ابن حنبل أو أبى حنيفة •

ولا شك أن قلم توفيق الحكيم حينما تناول قصة أهل الكهف قد خرج عن نص القرآن وأضاف الكثير من الخيال وانطلق وشطح فلم يقل أحد •• هل ما كتبت لنا من الدين •• بل قرأناه جميعا على أنه فن وحاسبناه على مراده وأهدافه •• أما الشكل والاطار فتلك مواصفات يحكم فيها الفن والتفنن وتتحكم فيها أصول الحرفة والصناعة •

والفن أعظم جهاز دعاية للدين بشرط ألا نقيده •• وما أحوج الانسانية اليوم فى عصر المادية والالحاد الى فن يأخذ المسرح من العرى والعهر والهزل والفحش ليقدم فنا يدعو الى الخير والعدل والحق والله •• فنا يقدم

هذه المضامين العالية دون أن يفقد مواصفات الفن وجاذبيته • وخفة روحه ولطافته •

وتلك هى رسالتى ••

وذلك هو مكانى الذى أحلم به على رقعة المستقبل ••

المسيخ الدجال

مضت على الرجل عشرون سنة وهو يتعبد الله فى صومعة عند رأس الجبل حتى اشتهر فى القرية بأنه الرجل المبارك وكان أهل القرية البسطاء يصعدون له بالطعام ويقبلون يده ويأخذون منه العهد ويحملون له المرضى ليشفيهم والأطفال ليدعو لهم .

ولكن الله كان يعلم أن هذا الرجل فاسق رغم صلاته وصومه وعبادته وانه يحب الدنيا حب العبادة رغم عزوفه الظاهر عنها فما صعدت اليه امرأة جاره بطعام الا تطلع الى ساقيها وخالس النظر الى تكوير ثديها وتدوير ردفها وبياض نحرها واحمرار ثغرها ودموية خدها .. وما سجد بعد ذلك الا وتراءت له المرأة فى القبلة وما رقد لينام الا احتلم بها وضاجعها حتى قضى منها الوطر وشفى الغليل .

ولهذا كان اذا افترش سجادته ورفع يديه فى تكبيرة الاحرام قائلا .. الله أكبر .. ردت عليه الملائكة قائلة .. كذبت والله .. فان أى امرأة عندك أكبر من الله .. فاذا قرأ الفاتحة وقال اياك نعبد واياك نستعين .. قال الله .. كذبت يا شيخ المنافقين فما ايانا تعبد وما ايانا تستعين .

ولهذا رغم العشرين سنة من الصلاة والصوم والعبادة لم ينزل الله عليه الملائكة بالبشرى كما يفعل مع الأولياء الصادقين وانما أنزل عليه ابليس •

وجاءه ابليس فى صورة نور باهر بين السماء والأرض وقال له •• أنا الله •• فانتفض العابد مذهولا وقال •• سبحانك ربى •

قال ابليس :

ــ لقد رفعنا عنك التكليف يا شيخ ــ من اليوم أعفيت من التكاليف فلا صـلاة ولا صوم ولا زكاة ولا حلال ولا حرام •• غفرنا لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر •• افعل ما تشاء فهو عندنا مقبول •• وحسبك النية •• اذا جامعت امرأة بنية أنها زوجتك وجامعتك بنية أنك زوجها فأنتما عندنا زوجان •

قال الشيخ وقد صادف الأمر هوى فى نفسه :

ــ وماذا يكون من أمر زوجها ؟

قال ابليس :

ــ يكون هو الزانى الملعون •

قال الشيخ وهو يهرش لحيته سعيدا بهـذه الشريعة المريحة :

ــ تمام •• تمام يارب •

قال ابليس :

ــ وما تحتاج اليه من مال الآخرين فهو مالك وحلالك وما تصبو اليه من محارمهم فهو حريمك ومن يتبعك منهم فهو ملك يمينك تفعل به ما تشاء •• وعليك أن تدعو لهذه الشريعة الجديدة التى نسخنا بها شرائع التوراه والانجيل والقرآن وخففنا بها على الناس ورفعنا عنهم الحرج •• فلا حرج على من يطلب حراما أن يستحله بنية الحلال فيفعل ما يهوى وان خالف ظـاهره باطنه •• تلك هى وصايانا الجديدة وعليك بالدعوة لها •

قال الشيخ فى خوف :

ــ ولكن كيف أدعو لهـذا الأمر الذى يحطم جميع الشرائع ولا حجة فى يدى ؟

قال ابليس :

ــ سنجرى على يديك الكرامات •• خذ •• هذه عصا

تنزل بها المطر وتدق بها الأرض فينبع البترول .. وتمشى بهـا على المـاء وتعبر البحر وتركبهـا الى أقصى الشرق والغرب فتصل الى ما تبغى فى لحظات .. وتضرب بهـا على رأس عدوك فتميته ثم تضربه ضربة أخرى فتحييه .. خذ .. وجرب .

وأمسك الشيخ بالعصا فى رهبة .. وتردد قليلا .. ثم دق بها الأرض فنبع البترول .. وأشار بها الى السـحب فأمطرت وركبها فحملته كالريح الى أقصى الأرض فى ثوان.. ونزل بها الى البحر فمشت به ومشى بها كأنه على يابسة وضرب بها على رأس خادمه فمات لساعته ثم ضربه مرة أخرى فعاد الى الحياة .

فانبسطت أسارير الشيخ وبدا عليه الانبهار .. ثم عاد ليقول بعد تفكير :

ـ ولكن كيف أدعو الى هذا المذهب الجديد .. وأنا لا أجيد الخطابة ولا أتقن حرفة الـكلام ولست فنـانا ولا كاتبا .

فقال ابليس :

ـ خذ هذا القلم واكتب به فتصبح أكبر كاتب فى زمانك يقرأ لك الملايين ويتبعك الملايين .

ثم عادت السماء فأظلمت فجأة واختفى النور الباهر .

ونظر الشيخ الى القلم فى يده .. وفتح كراسة وبدأ يكتب فاذا به يكتب قصصا ومسرحيات ومقالات وأشعارا تخلب القلوب وتحرك الأفئدة .

❊❊❊

تلك هى الجوانب الخفية من حكاية ذلك الفيلسوف الفنان الذى ظهر فجأة يدعو الى العبث والانحلال والوجودية بأسلوب خلب به لب الشباب وامتلك عليه عقله ثم نادى بسقوط الشرائع وأعلن حرية الانسان وأعلن حق الانسان فى اشباع جميع شهواته والاستمتاع بجميع لذاته ما دامت برضى ودون اغتصاب ونادى ببدء عهد جديد من الجنة الأرضية .. حيث لا عمل للرجال الشطار الا فض الأبكار وأكل الثمار على شواطىء الأنهار .. وشعار الجميع .. عانق وانكح ما دامت تسمح .. وطالب بالجهاد الجديد الممتع وذلك بخروج جيوش من الرجال لغزو قلوب النساء لاحتلال المخادع وافتراش المحارم .

وقامت القيامة على الرجل وطالبت كل النظم برأسه فخرج على النـاس بهذه العصا الخرافية التى يسقط بها المطر ويخرج البترول ويمشى على المـاء وينتقل كالبرق حيث يريد ويضرب بها فيحيى ويميت •

وقالوا هو المسيخ الدجال الذى يظهر آخر الزمان فيدعو الى الفسق والفجور والفساد ويؤيده ابليس بالخوارق •

وقالوا بل هو ابن الله الوحيد •

وقالوا بل هو الرب •

وصادفت دعوته هوى الـكثرة وشـهوات الجماهير فاتبعوه •

وجادله أولياء عصره فغالبهم وما غلبوه •

وغرقت الأرض فى الفساد الا قليل ممن لزموا بيوتهم وأغلقوا عليهم الأبواب اتقاء للفتن •

ثم شاءت رحمة الله أن يظهر المسيح الحقيقى فى مكة •• وأن يسلطه الله على هذا الدجال فيقتله ويرسله الى أسفل دركات الجحيم •

وانما تبدأ قصتنا بعد مقتل الدجال ونزوله الى الدرك السابع من جهنم •• فننزل معه الى هذا الدرك الملعون •• لنرى ما كان وما سيكون من شأن هـذا الأفاك الأثيم فى هذا الجانب المحجوب من عالم الآخرة •

***

مر الدجال فى نزوله الى قرار الجحيم على أبواب الجنة الثمانية ثم عبر وادى الأعراف بين الجنة والنار ثم هبط الدركات السبعة ليصل الى أسفل سافلين •

وكانت الحكمة من تمريره على الجنة أن يشاهد بعينيه ما حرم منه فيزداد حسرة على حسرة وندما على ندم •

رأى فى الجنة الحور العين وقصور البللور التى تجرى من تحتها أنهار من نور ورأى النخيل والأعناب والرمان ورأى بحر الكوثر وعيون السلسبيل فما وجد لمـا رأى وصفا ولا نعتا ولا واتته حرفة الـكلام فى أن يجد لمـا يشاهد تعبيرا • •وانما هى أشياء تلتقى مع أشياء الدنيـا فى الأسماء فقط دون أن تقارنها أو تقاربها •

ورأى القصور فى الجنة يبنيها الملائكة بالحروف •• ينطقون حروفا بصيغ خاصة فتبرز تلك القصور من عدم

وتقوم على قواعدها من لا شىء وقد كستها حلل باهرة من الزخرف مما لا يخطر على بال فنان ولا يحلق اليه خيال مبدع •

ورأى أهل الجنة يتنقلون عبر المسافات بلا وسائل •• وانما يطيرون بما فيهم من شوق ذاتى يحملهم بأسرع من الضوء الى حيثما يريدون •

ورأى أبواب الجنة الثمانية وأعلاها باب الرضوان حيث يرى المشاهدون وجه ربهم ويكلمهم ربهم وينظر اليهم وتلك أعلى درجات النعيم •• وقد ضرب عليه العمى والبكم والصمم وهو يمر بهذا الباب فلم ير ولم يسمع شيئا لأنه محجوب •

وأدنى أبواب الجنة هو باب المآكل والمشارب والروضات والأنهار والينابيع حيث ترتع الظباء والفراشات والطواويس وحيث تغرد الطيور بأجمل ما سمع من موسيقى •• وأهل هذه الجنة يكلمون الفراشات والورود والأشجار فترد عليهم •

أما جبل الأعراف فمكانه بين الجنة والنار وقد رأى فيه المفكرين والمصلحين ممن بحثوا عن الحقيقة وسعوا

اليها باخلاص وعرفوا ربهم لكن قعدت بهم بشريتهم عن بلوغ الكمال الخلقى الواجب فوقعوا فى المخالفات وتساوت سيئاتهم وحسناتهم فأرجأهم ربهم الى يوم يبت فيهم برحمته •

أما الجحيم فهى نار كبرى ليست كما نعلم من نار وليس بينها وبين نار الدنيا من تشابه الا فى الاسم •• وما يكاد يدخلها الداخل حتى يضرب بينه وبين عالم الرحمة بسور لا مخرج منه •

ولهذه النار هزيم كهزيم الرعد ولها تغيظ وفوران وليس فيها بقعة ظل وأهل هذه النار يأكلون ويشربون ويتلاعنون ويقتل بعضهم بعضا فلا يموتون ونار أحقادهم الداخلية أشد مما هم فيه من سعير وهى أحقاد وشهوات لا تخبو كما لا يخبو ما هم فيه من سعير الا ليضطرم من جديد •

ومن أبواب هذه النار باب الزمهرير حيث تتجمد العيون فى المحاجر وتتجمد الأنفاس فى الصدور من شدة البرد •

ومن أبوابها باب الويل حيث تترصد الداخل النكبات فلا يقر له قرار ولا يهدأ له بال فالسماء تتساقط والأرض

تتزلزل والمـاء يغيض اذا طلبته والثمار تجف اذا مددت لها يدك .

وكلما كان صاحبنا الدجال يبلغ بابا كان يقول لمرافقه .. أهذا مقرنا .. فيقول مرافقه وهو مالك كبير ملائكة جهنم .. لا ليس بعد .. حتى بلغ به الى الدرك السابع وهو درك أسفل السافلين وفيه ابليس وجنوده والملاحدة والمنكرون وعباد الأوثان وأئمة المـادية الجدلية والفراعنة الجبارون وقوم عاد وثمود وقارون وهامان ونيرون وستالين وماركس ولينين وهتلر وسالازار ومونجستو .

وأشار اليه مالك قائلا .. هنا مقرك .

وتلفت الدجال حوله فرأى بين الحضور وجها يعرفه .. فهمس لمـالك .. أليس هـذا هو صـاحبنا الذى بنى السد العالى .. قال له مالك .. نعم هو بعينه وقد افتتحه قائلا فى خطبته ، اليوم نروى حقولنا دون انتظار لمـا تأتينا به السماء من مطر .. فأحبط الله ما صنع وجاء المشروع نكبة على الزراعة فى مصر بما سلب من طمى وبما أصاب الأرض من نشع دائم .. وبما أصاب تيار النهر من ضعف عند مصبه فهجم المـاء المـالح على سواحل الدلتا فأتلف

آلوف الفدادين وتآكلت الجسور وسقطت بسبب خفـة المـاء وانخفض منسوب النيل بسبب النحر الدائم للشطآن .. ثم جاءت الطامة الكبرى بالاغارة على السد فى الحرب العالمية الثالثة ومحاولة ضربه من الجو مما هدد بفيضان بحيرة ناصر واغراق البلاد وهلاك الملايين .

قال الدجال .. ولكن الرجل كان زعيما قويا وكان مهابا وأعلى كلمة مصر أليس كذلك ؟

قال مالك .. بل أعلى كلمة نفسه .. وقال أنا .. وسخر مصر لهذه الأنا وجمع حوله الجلادين والسـفاحين وقطع الألسن وكمم الأفواه وألقى الأبرياء فى السجون وعذب الخصوم حتى الموت وضرب الطبقات بعضها ببعض وأشعل الأحقاد وانفرد بالكلمة آثما معتزا باثمه الى أن مات .

قال الدجال .. لا يصح أن تنسى حسنات الرجل .. لا يصـح أن ننسى له مجانيـة التعليم وتشغيل جميـع الخريجين .. و ..

قال مالك .. مجانية التعليم دون توسع مناظر فى عدد الفصول والمختبرات معناها عدم التعليم ومعناها تكديس الألوف دون أن تكون لأحد الفرصة فى أن يفهم شيئا ..

وتشغيل الخريجين بدون ايجاد أشغال معناها البطالة لا العمالة .. لقد كان الرجل كذابا يتكلم عن الرخاء والبيانات تحت يديه تقول ان الاقتصاد تحت الصفر .. وكان يتكلم عن الكرامة وأرضه محتلة وكان يتكلم عن الحرية والألسن مقطوعة والرقابة تركب الأكتاف .. ولقد احبط الله كل أعماله فالأرض التى أخرج منها الانجليز دخلها اليهود والقناة التى أممها ردمها والوحدة التى أعلنها انقلبت انفصالا والتحرر من أمريكا انتهى الى الوقوع فى قبضة روسيا .. ومن عجب أن صاحبك الذى حارب فى الكونغو واليمن والسودان والجزائر وحرض كل الشعوب على تحطيم كل العروش .. هذا العبد الناصر حينما واتته الفرصة الذهبية للحرب فى مصر .. بلده .. انسحب .

ـ سوء حظ يا مولانا .. اجتهد الرجل فأخطأ .. خانه رجاله ..

ـ ومن اختارهم .. أليس هو .. أكان زبانيته يلقون بالناس فى السجون ويعذبون الأبرياء ويهتكون الأعراض ويمثلون بالخصوم وهو فى غيبوبة .. هل خرج أكثر من ثمانين من القضاة مفصولين من ظائفهم تحت انفه دون أن

يدرى .. هل انسحب مائة ألف جندى دون أمره .. انك تدافع عن الرجل لأنه كان مثلك ..

قال الدجال .. مثلى كيف ؟

قال مالك .. نعم مثلك تدعو الى الله وتعصيه وتحمل رايته وتمزق منهجه عامدا متعمدا مدركا لما تفعل .

ـ ولكنى كنت ضحيتكم .. لقد أرسلتم الى ابليس فخدعنى .. وأجريتم على يدى الكرامات وأعطيتمونى عصا أمشى بها على الماء وأسافر بها الى أقصى الأرض .

ـ لقد أعطينا كفارا مثلك أقمارا صناعية ومراكب نزلوا بها على القمر وسفنا ذهبوا بها الى المريخ وهم الآن نزلاء فى غرف مجاورة ان الله يرزق المؤمن والكافر وهو يعطى كل سائل طلبته .. وحينما رأيناك تسجد فلا تطلب فى سجدتك الا اللذة والغلبة أعطيناك اللذة والغلبة .. وأرسلنا اليك قرينك الذى يشبهك .. ابليس الذى لا يفكر الا فى نفسه مثلك .

ـ أما كان ممكنا أن تنزلوا على جبريل رحمة بى .

فضحك مالك وهو يدفعه فى قفاه قائلا :

ـ ان بينك وبين جبريل ما بين الأرض والسماء .. جبريل نور وأنت نار .. ولا مجانسة بينكما فى شىء .. انما يتنزل القرناء على بعضهم البعض بحكم المجانسة .. ولو تنزل عليك جبريل وكلمك لما سمعته لبعد الشقة واختلاف الذبذبة بينكما .. وقد كان الله يكلمك طوال العشرين سنة من العبادة المزيفة فلا تسمعه .. وكان ابليس يهمس اليك فتستجيب له بكل أعضائك وتزاول شهوتك وأنت ساجد .

ـ نعم .. نعم .. لا تذكرنى .. لقد فعلتها مرة وأنا ساجد فى الرحاب الأقدس فى النجف الأشرف بالعراق .

ـ نعلم ذلك .. وكانت هذه المرة هى التى رشحتك للزعامة التى أنت فيها .. فقد قالت الملائكة ساعتها .. هذا هو الدجال الذى يأتى آخر الزمان فلا يصلح الا للعنة ولا تصلح اللعنة الا له .

ـ وقد تنزل على ابليس بعدها وتعاهدنا وأخذ على الميثاق .

ـ نعم .. وما كان يصلح لهذه المنزلة السفلى غيرك .. وقد اطلع الله على سرك منذ البداية .

ـ ولكن ما ذنبى وقد خلق الله لى سرى الملعون هذا .

ـ ان الله لم يخلق لك سرك ولم يخلق لأحد سره .. بل خلق الله لك اليد والقدم واللسان والعقل والقلب لتعبر وتكشف عن سرك ومكنونك .. انما سرك فيك منذ الأزل ومن قبل أن تولد ومن قبل أن تخلق ـ لم يمسسه أحد ولم يتدخل فيه .. انما انفرد الله بالاطلاع عليه فحسب .

ـ وأين كنت فى الأزل ؟

ـ كنت فى هذا العالم .. كنت فى الجحيم بالامكان وهذا أنت تعود اليه بالفعل .

ـ ألم أكن عدما ؟

ـ كنت عدما ولكن لم تكن معدوما .

ـ لا أفهم .

ـ هذا ما تسمونه عندكم الوجود بالقوة والوجود بالفعل .. كنت حقيقة سفلية « بالقوة » ثم أفصحت وأبنت وانكشفت فى عالم الدنيا وبما أجراه الله عليك من بلاء وابتلاء فأصبحت حقيقة سفلية « بالفعل » وبذلك حقت عليك الكلمة .

ــ أما كان يمكننى الخلاص من سرى هذا أو اصلاحه ؟

ــ لو أنك سجدت لله مخلصا وتوجهت اليه صادقا طالبا أن يطهرك ويصلح سرك •• لأصلحك الله وغيرك •• والله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ولكنك لم تطلب ذلك أبدا •

ــ نعم •• بل كنت أتلذذ بهذه النار فى داخلى وأمدها بخيالى وتمدنى بحرارتها فلا نشبع من بعضنا أبدا •

ــ نعم لقد اخترت النار حقا وصدقا وعدلا فجعلها الله من نصيبك •• ولا يظلم ربك أحدا •

وراح الدجال يتلفت حوله ثم قال وهو يشير الى رجل طويل :

ــ أليس هذا هو الرفيق ثقيل الظل باناماريوف عضو اللجنة المركزية بالاتحاد السوفييتى ؟

ــ نعم هو بعينــه وهو زميلك فى زنزانة الأبدية التى ستحل ضيفا عليها •

ــ أعوذ بالله انى لا أطيقه •• ان صحبة زبانية الجحيم أرحم منه •

ــ ولهذا اخترناه لك •

ــ انه رجل لا يكف عن الكلام •• ولا يفهم حرفا مما يقوله ولا يشعر بما يقول •• ويظل يطاردك بالسخافات حتى تفقد عقلك •

ــ هلا عرفتكما ببعضكما •

ــ أرجوك يا مالك •• اقبل يديك ورجليك •• القنى الى النار الذرية •• ولا تلقى بى الى هذا السخف المطلق •

ــ حسنا •• لم يأت وقت الزنزانة بعد •• ولا داعى للعجلة وأمامنا جولتنا •

قال الدجال مسترحما :

ــ ألا يمكن أن أرافق نجوى فؤاد أو سهير زكى •• أو حتى شريفة فاضل •• بدلا من هذا التيس ثقيل الظل •

ــ ياه •• هذا تواضع كبير من الشيطان العتل الذى دوخ العالم « المسيخ الدجال » بلحمه ودمه أن يتصور نفسه فى مستوى كباريهات شارع الهرم •• ظلمت الفتيات والله •• ومن يدريك ربما يكون الله قد ختم لاحداهن بتوبة وقبل منها عملا صالحا تغير به مصيرها •

ــ نعم لقد ذكرتنى .. لقد رأيت منيرة المهدية فى الجنة ونسيت أن أسألك .

ــ تلك امرأة استحقت من الله الرحمة فقد عاشت الى أرذل العمر وانتكس حالها ففقدت صوتها وجمالها ومالها ودولتها وصبرت على بلاء الشيخوخة وتابت الى الله توبة نصوحا .. والله يقبل توبة التائبين .

ــ ولكنى رأيت زناة سكيرين فى الجنة كما رأيت زناة وسكيرين فى النار ولم أفهم كيف افترقت بهم المصائر مع أنهم ارتكبوا نفس الأفعال .

ــ هؤلاء مذنبون من أهل الانكسار وأولئك مذنبون من أهل الاصرار .. أما أهل الانكسار فبكوا وندموا وتابوا وأما أهل الاصرار فتمادوا وأصروا وكابروا .. وهناك زناة أسوأ اتخذوا الزنا تجارة ثم هناك أسوأ من ذلك الذين اتخذوا الزنا مذهبا يروجون له علانية ثم هناك الأسوأ من الكل الذى افترى على الله كذبا وادعى بأنه أباح الزنا .. وقال لكل من يراه .. لا عليك .. اذهب فقد رفع الله عنك الحرج .. عانق وانكح ما دامت تسمح .. وذلك هو سيادتك .. وهكذا ترى أن الذنوب منازل .

قال الدجال ــ هلا طلبت منك خدمة بالله ؟

قال مالك ــ ما هى ؟

ــ أن تقابلنى بابليس الذى خدعنى وأوردنى المهالك لأصفى معه الحساب .

قال مالك ــ انا ذاهبان اليه بالفعل .. والعجيب أنه هو الآخر يطلب رؤيتك .

لقـــاء مع الشيطان

كان الطريق الى الشيطان ينزل عدة درجات عبر ممرات حلزونية مظلمة الى ساحة مبطنة بالجمر الملتهب •• والأرض كلها مفروشة بالجمر ويخرج من الجدران والأرض وهج أحمر مخيف •

وفى وسط الساحة وعلى عرش من نار يجلس ابليس وهو نفسه قبضة من جهنم •• كل شيء فيه •• عيناه •• جبهته •• يداه •• جلده •• أنامله •• كلها تشع نارا •

وقام الشيطان حينما رأى الدجال وأسرع اليه وعانقه بشدة حتى صرخ :

ــ أعوذ بالله •• هذا حريق وليس عناقا ••

فقال الشيطان :

ــ هذا هو الكى الشافى الذى تستخدمونه عندكم لعلاج الكبد والطحال والروماتزم •

ــ متشكر •• لست أشكو من الكبد ولا من الطحال ولا من الروماتزم •• والجمر عندكم يكوى المفاصل بما فيه الكفاية •• يا حفيظ هذا المكان لا يطاق •

ــ صدقنى هو أفضل بكثير من الزنزانة المخصصة لك مع زميلك باناماريوف فقد اختار لك الله موقعا فى الجحيم أسفل من مكانى ••

ــ أنا أسفل منك ؟

ــ بكثير •• صدقنى •• أنا وجنودى وجيشى هواة مبتدئون بالنسبة لسيادتك •• نحن شياطين ديكورا شياطين ورق بالنسبة لمكرك العظيم وعلمك العظيم فى فنون الشر •

ــ انت •• أنت ابليس الزعيم تقول هذا الكلام •

ــ وأكثر ••

ــ أنت الذى خدعتنى ومكرت به وأوردتنى هلاكى •

ــ لا يا شيخ •• هل تريد أن تفهمنى انك صدقت انى أنا الله رب العالمين •

ــ طبعا صدقت ولهذا أطعتك •

ــ وهل هناك رب يطلب من عبده أن يترك الصلاة والصوم والعبادة وأن يزنى وأن يأكل مال الغير وأن يدعو الى الفجور والفسق علنا •• ازاى ••

ــ لقد قلت لى ان هذه هى الشريعة الجديدة فصدقتك •

ــ فى شرع أى عقل وكيف يجوز مثل هذا الكلام على انسان بل على حيوان •

ــ لقد قلت لى أنا الله •

ــ لقد كنت تعلم انى أهزل •• وقد فهمت بفطرتك كل شىء من أول لحظة ولكن الحكاية استهوتك وجاءت على مزاجك وأعجبتك اللعبة فسايرتنى حتى آخر الشوط •

ــ والعصا السحرية التى ضحكت بها على •

ــ ان عصا أصغر منها من عصيكم مركب فيها مخ الكترونى تستطيع أن ترسل صواريخ تعبر الفضاء وتتحكم فيها وتوجهها •• وأنتم بعلمكم تنقلون قلوب الموتى الى الأحياء •• فما هى تلك العصا التافهة بالنسبة لمنجزات العلم البشرى •• انما هى لعبة •• وقد فهمت بمكرك انها لعبة •• وأردت أن تضحك بها على الناس •• صدقنى انى أشعر بالخجل من تخلفنا الشيطانى فى فنون المكر •• لقد سبقتمونا كثيرا •• ولقد سبقتنى بدرجة هزت ثقتى

بنفسى وهزت مركزى أمام القيادات الشيطانية لدرجة كادت تدفعنى الى الاستقالة .

ـ الى هذه الدرجة ؟

ـ نعم وأكثر فنحن فى عصرك وبفضلك أصبحنا جيشا من الشياطين العاطلين .. أشبه بجيش التشريفة الذى يمشى خلف الجنازات بلا عمل .. فماذا تجدى فنوننا التقليدية مع أساليبك الجهنمية ان أقصى ما كنت أستطيعه فى مسألة الاغراء الجنسى أن أرسل جنودى يوسوسون للناس بالخواطر الشهوانية .. أما أنت فماذا فعلت .. لقد أنشأت محطة خاصة للأقمار الصناعية تذيع لجميع أجهزة التليفزيون .. الأوضاع الثمانية عشر للعملية الجنسية .. وقلت فى مقدمة هذه السلسلة .. انك تقدمها خدمة للعلم وكدراسة أكاديمية ليستفيد منها الأزواج فى تحصيل اللذة بأفضل وسائلها .. وطبعا أنت تعلم انه لم يتابع هذه السلسلة الا المراهقون .. أما الأزواج فكانوا يغلقون أجهزة التليفزيون بسبب الملل الذى يعيشون فيه .. وهكذا فسد الجيل كله وأصبحوا مثل قرود الجبلاية .. كل شاب مشغول بعضوه التناسلى ..

ولم تستطع الرقابة أن تتحكم فى الأمواج التليفزيونية

فى الهواء ولم تستطع أن تمنع هذا الفيض من الفحش الذى كان ينتشر عبر الفضاء بلا موانع .. أين نحن من هذه الأساليب .. لقد انتهينا يا مولانا .. لقد جاءنى شيطان صغير منذ شهور كان يعمل فى قسم التهريب فقص على قصته ثم انتحر .. فماذا تظن كانت قصته ..

ـ ماذا كانت ؟

ـ كان مكلفا بمرافقة أحد المهربين المحترفين .. وكان صاحبنا هذا يفكر فى تهريب مليون جنيه سرقها من أحد البنوك واقترح عليه الشيطان أن يدفنها فى الأرض مدة حتى تنسى الحادثة ثم عاد فاقترح عليه أن يهربها فى صناديق الفاكهة ثم عاد فاقترح عليه أن يضعها فى أنبوبة العادم فى سيارته الشيفروليه .. أو فى كيس بلاستيك فى خزان البنزين .. ولكن صاحبنا ابتسم لهذه الاقتراحات الساذجة وأشاح بيده فى عدم مبالاة .. ثم ماذا فعل .. اشترى بالمليون جنيه طابع بريد تذكارى نادر .. ثم وضعه على خطاب عادى وأرسله تحت أعين جميع الشرطة والمخابرات .. وانتحر الشيطان غما .

أما الحادثة الثانية فكانت لشيطان آخر يعمل فى قسم تهريب المخدرات وكانت المشكلة هى تهريب عدة أطنان

من مادة L.S.D ومعلوم أن مللى جرام واحدا من هـذه المـادة يكفى لتخدير أسرة وفكر الشيطان الذكى وفتح ذهنه ثم اقترح تهريبـه فى زجاجات الملح ثم عاد فاقترح تهريبه مذابا فى برطمانات المربى .. ثم عاد فاقترح تهريبه مذابا فى زجاجات المياه المعدنية .. واستمع المجرم المحترف الى كل هذه الخواطر الشيطانية ثم أزاحها جانبا وفكر فى وسيلة جهنمية .. أن يضع المـادة المخدرة فى الصمغ اللاصق فى خطابات المعايدة والتهنئة .. وما على المدمن الا أن يلحس الصمغ اللاصق بلسانه فيحصـل على الجرعة المخدرة .. يومها جاءنى ذلك الشيطان وظل يلطم وجهه حتى فقأ عينه ..

وهل يخطر لشيطان مهما بلغ من القسوة أن يعـذب بريئا فى سجنه فيكوى جلده وينزع أظافره وينفخ بطنـه ويعلقه من قدميه ويضع الخوازيق فى الأماكن الحساسة من جسده ويطلق عليه الكلاب ويهدده بالملابس الداخلية لبنته وزوجته ليجبره على الاعتراف .. كما فعلت عصابة صاحبكم الذى بنى السد العالى ..

.. يا مولانا أنتم لم تتركوا لنا فنا الا سبقتمونا فيه .. وكان رب العزة والجلال على حق حينما طلب منا السجود

لآدم .. فهنا كان جنس من المخلوقات اذا أراد الشر تفوق شره على الجميع واذا أراد الخير تفوق خيره على الجميع .. لقد كان يجمع القدرات كلها فى يديه بحكم النفخة الربانية .. ولكننا لم نفهم الحقيقة حينذاك وغلبنا كبرياؤنا وغلبتنا شقوتنا وحقت علينا اللعنة ..

ولكن اليوم لابد من وقفة صراحة ..

ولا يمكن الاستمرار فى الكذب الى الأبد ..

لقد قررت الاستقالة من زعامة الافساد وتسليمك خاتم الملك ووضع جنودى فى خدمتك .. وهذا عرش النـار تقدم واجلس عليه واحكم دولة الظلمات ..

أما أنا فها أنا ذا أسجد لك بعد فوات الأوان .

وسجد الشيطان لآدم الشر والفتنة « المسيخ الدجال » بعد مليون سنة من الاباء والكبرياء ووقف الدجال مأخوذا لحظة مختالا بهذا التسليم الفجائى ثم عاد يربت على رأس ابليس مغمغما :

— قم يا صديقى المسكين اجلس على عرشـك .. لم يعد فينا منتصر ولا مهزوم ولا حاكم ولا محكوم بل نحن

جميعا الآن فى النبضة الالهية .. ولقد خبنا جميعا وخاب سعينا .. واذا كان لى رجاء فهو رجاء واحد .

ــ اطلب وأنا فى خدمتك .

ــ أن تخلصنى من هذا التيس الروسى باناماريوف .. أرجوك .. أقبل يديك وقدميك .. خذه يعمل عندك فى قسم الالحاد .. انه داعية مفيد جدا .. خذه فى فرع المادية الجدلية انه متخصص لا يشق له غبار .. خذه فى ستين داهية انه رجل لا يطاق .. انه انسان آلى بدون مخ كلامه يرفع ضغط دمى .. نبرة صوته الخشبية بتعمل لى تصلب شرايين .. أنا فى عرضك .

فقال ابليس وقد أسقط فى يده :

ــ هذا أمر ليس فى يدى .. ألم تسمع الصوت الذى ارتجت له السموات .. « لمن الملك اليوم » وكيف أجاب الملائكة فى صوت واحد .. « لله الواحد القهار » يا سيدى لم يعد لنا حكم اليوم ولا تصرف .. وصحبة هذا الباناماريوف صدرت عليك من الأزل .. ولا رحمة ولا استئناف .

ــ ولكن صحبة هذا الانسان الحجرى عذاب لا يطاق .

ــ وهل يراد لك الآن الا العذاب .. وهل ينتظرك الا البؤس الأزلى .. وانت الذى غلبت الأبالسة ..

ــ صدقت .. لا مفر .. الأمر لله ..

ولكنه عاد فقال فى أمل :

ــ ولكن ألا يمكن أن ألتقى بعبد الحليم حافظ أو أم كلثوم لأروح عن نفسى قليلا فى هذا الغلب .

فقال مالك : ان عبد الحليم رجل غلبان والله عفا عنه بما أصابه من بلاء المرض فى حياته وأم كلثوم دخلت فى جناب الذين خلطوا عملا سيئا وآخر صالحا عسى الله أن يتوب عليهم ..

ولكن عندنا مارلين مونرو اذا كان مزاجك اليوم فى أهل الفن والطرب ولكنها فى الدرك الثالث من جهنم فوقك بأربع درجات ولا يمكن أن تصعد اليها ولا أن تنزل هى اليك وأنت فى أسفل سافلين .

ــ ألا يوجد فى أسفل سافلين أحد من الفنانين أو المطربين أو الملحنين .

ــ هناك بعض كتاب المادية الجدلية والفلاسفة الدجالين والمؤلفين الذين احترفوا افساد الناس عن عمد

وعن قصد •• وهناك العملاء الذين روجوا الباطل للكسب والاتجار •• وهناك الطغاة والجبارون •• وهناك السفاحون الذين عذبوا الأبرياء فى السجون مثل الروبى وحمزة البسيونى أما الفنانون بمعنى الفنانين أهل الفن الجميل فهؤلاء مرحومون بحكم اجتهادهم فى ابداع كل جميل والكفرة والفساق منهم نجدهم فى الدرجات الأولى والثانية والثالثة من جهنم وذلك تخفيف من رب العزة على كل من أبدع جميلا فى الحياة •• ومن أهل أسفل سافلين أيضا اليهود الذين حرفوا التوراة والانجيل وأخفوا الآيات واستبدلوها •• وزوروا وابتدعوا وافتروا على الله الكذب •• ومنهم قتلة الأنبياء •• ومنهم السحرة الذين أغووا الناس بسحرهم وعبدوا الجن والشياطين •• ومنهم السامرى الذى صنع العجل الذهب وأضل به قوم اسرائيل •• ومنهم النمرود الذى ألقى بابراهيم فى النار •• ومنهم الجبارون الذين أحرقوا النصارى فى الاخدود •• وفيهم هولاكو وهتلر وستالين وكل عمالقة التخريب فى العالم وفيهم منجستو الذى قتل ألف طالب فى يوم واحد ••

ــ أعوذ بالله •• دى جيرة مهيبة •

ــ صفوة الشر والبغى فى التاريخ •

ــ الله يطمنك •

ــ شد حيلك •

ــ يبدو أننا لن نعرف السلام هنا أبدا •

ــ لا سلام هنا ولا راحة وانما حرب أبدية وقتال أزلى بلا غاية وبلا هدف ودون أن ينتصر فريق على فريق •• وانما الكل يعذبون بعضهم بعضا بحكم طبائعهم •

ــ يا حفيظ •

ــ انما السلام فى دار السلام •• حيث النفوس من نوع آخر •• نفوس مشغولة بالحب وباعطاء الحب •• وبتبادل الحب •

ــ ألا يمكننى أن أتسلل الى واحة الحب هذه فى غفلة من الحراس •

ــ لن تستطيع أن تعيش هناك لحظة واحدة فأنت نفس مختلفة من نوع مختلف •• ان لذاتك فى الدجل والمكر والشر والاختلاس والسرقة والاحتيال والايذاء •• ولو خرجت من الجحيم سوف تصبح مثل سمكة خرجت من الماء •• ان مكانك هنا •• وقدرك أن تقارع الأشرار

مثلك ويقارعوك وتقاتلهم ويقاتلوك وتحسدهم ويحسدوك وتخونهم ويخونوك وتحقد عليهم ويحقدوا عليك وتغدر بهم ويغدروا بك .. ولا نهاية لهذه الدائرة المفرغة من الشر فهذه حقائقكم ولا تستطيع نفس أن تعطى غير حقيقتها ولا يمكن لاناء أن ينضح الا بما فيه .

ـ ألا يمكن أن يعطينا ربنا فرصة أخرى لنتوب ونعمل صالحا .

ـ لو ردك ربنا الى الدنيا لعاودت نفس سيرتك فهذه حقيقتك وهذا سرك .

فصرخ الدجال :

ـ وما ذنبى أنا اذا كان الله خلق لى سرى هكذا .

فعاد مالك يشرح له :

ـ حانرجع تانى للكلام الفارغ .. لقد قلت لك يارجل ان الله لم يخلق لك سرك ولم يخلق لأحد سره وانما خلق لك الله اليد والقدم والقلب والعقل لتعبر عن خيرك وشرك وتكشف مكنونك وسرك الذى تخفيه .

ـ وما هو سرى الذى أخفيه ؟

ـ ذلك هو سرك الخاص بك لم يخلقه فيك أحد ولم يقهرك عليه أحد وانما هو طويتك ومكنونك وحقيقتك منذ الأزل وقبل أن تولد فأنت من سكان هذا المكان منذ الأزل .. حينما كان هذا المكان عدما وكنت عدما .. ولكن فى باطن العدم لا تخفى على الله الخفايا ولا تستتر عنه النوايا .

ـ اختصار القول انه لا فائدة ولا مهرب ولا مفر .

ـ اذا كان لك مهرب من نفسك فان لك مهربا من هنا .

ـ حسنا .. سلمت .. واستسلمت .

ـ ذلك عين الصواب .

ـ ولكن لا بأس فى البلوى من سلوى .

ـ ماذا تعنى ؟

ـ أقول ما رأيك أن نبحث عن شلة الحرافيش لابد أنهم شركاء فى هذه المصيبة التى نحن فيها .

ـ من هم شلة الحرافيش .. تقصد شلة نجيب محفوظ .

ـ هو بعينه ما قصدت غيره .

ـ لقد ظلمت الرجل يا شيخ •• ولا أظن أنه سيكون من جيرانك •• فهو رجل طيب وان كانت مآخذنا عليه كثيرة ••

ـ وما هى تلك المآخذ ؟

ـ والله يا أخى صاحبكم عجيب الأحوال تراه فى حياته يصلى ويصوم ويلتزم بالآداب والوصايا ثم تقرأ كتبه فلا تجد أثرا لوجود الله وانما تطالع عالما ماديا يأكل بعضه بعضا •• وتغرق فى ظلمة من الشرور والمظالم •• ليس فيها بصيص نور •• فى روايته الطريق ترى الله عبارة عن أب وهمى لا وجود له وفى روايته أولاد حارتنا يموت الله فى آخر الرواية ويجلس العلم والعقل فى مكانه وفى قصة الغرزة يكتشف الحشاشون فى الصباح أن الشبح الذى تصوروا أنه كان يتربص بهم على الباب كان عباءة معلقة أو جوال قطن لست أدرى ثم هو يأخذ القارىء الى دوامة من الانفعال الرافض بدرجة تدفع به الى الغضب المبهم والى الرغبة فى تهديم كل شىء •• ثم هو لا يفصح عن موقفه ولا يقترح حلا ولا يعلن أيديولوجية معينة وانما هو يبدو دائما غاضبا على كل شىء وأصدق قصصه فى التعبير عنه هى قصة ذلك الرجل الذى يصعد على أعلى

نقطة فى برج القاهرة ثم يطلق الرصاص على الناس من مدفعه الرشاش بطريقة عفوية موجها الموت الى الكل •• وجه العجب فى صاحبكم وما يدعونى دائما الى التساؤل كلما قرأته •• انه اذا كان يصلى ويصوم واذا كان اقتنع بالدين منهجا وحلا فلماذا لا يبدو هذا الحل فى رواياته •• ولماذا يبدو الدراويش فى رواياته هلافيت •• وتبدو المومسات بطلات واللصوص ضحايا •

هذا رجل عجيب صاحبكم نجيب محفوظ هذا •

ـ وماذا تظن آخرته ؟

ـ العبرة بالخواتيم •• ولا ندرى بماذا ختم له •• ولعله تاب وأناب وأقلع عن هذه السكة البطالة التى كان يسير فيها •

ـ يبقى شىء عجيب •

ـ ما عجيب الا الشيطان •

وسكت الدجال فترة وغرق فى التفكير ثم أشار الى ابليس من طرف خفى •

ومال الاثنان على بعضهما يتهامسان •

قال الدجال :

ـ اسمع يا أخى يا ابليس الظاهر ان الحكاية جد وان مفيش فايدة •• واننا ضعنا ••

ـ ضعنا الضيعة التى لا بعدها ولا قبلها •

ـ اسمعنى لم يبق الا حل واحد •

ـ ما هو ؟

قال الدجال فى صوت خافت مبحوح : الثورة •

همس ابليس فى دهشة وقد فغر فاه ـ أى ثورة •

فقال الدجال فى صوت جاف أجش ـ ثورة اشتراكية •

وهنا انفجر ابليس ضاحكا •• ثم تكور وانتفخ من كثرة الضحك حتى تحول الى بالونة هائلة ثم راح ينفجر ويقرقع بالضحك حتى سمعت ضحكاته الشيطانية فى السماوات السبع والأرضين السبع والكون السفلى والعلوى •• وما بقى مكان فى الفلك الا وسمعت فيه ضحكته الشيطانية •

قال الدجال مذهولا : وما الذى يضحكك الى هذه الدرجة يا ابليس ؟

قال ابليس وهو ما زال يحاول أن يكتم ضحكه : ثورة اش •• اش •• اش •• اشتراكية الله يضحكك يا شيخ •• ماذا تقول فيها •• نريد الخبز •• نريد الحور العين ••

قال الدجال : بل نقول تسقط الطبقية والاستغلال •

قال ابليس ـ استغلال من •• ان أهل الجنة لا يستغلونك وأنت لا تعمل عملا لتدعى انهم يأكلون أجرك ثم يبنون قصورهم من فائض القيمة استغلال من •• أنا لا أفهم •

فقال الدجال غاضبا : ان الله قد أخذ أرضى أخذ ألف فدان من أجود الأرض فى الفيوم •

فقال ابليس وهو يضحك : أرضك •• ألك أرض •• انها كلها أرضه •• السماوات والأرضين ملكه •• والبحار والأنهار والأشجار والرياض والجبال والوديان ملكه والشمس ملكه والقمر ملكه والمخلوقات كلها ملكه •

قال الدجال ـ وهدم لى عمارة من عشرين دورا فى باب اللوق كانت تدر على دخل عشرين ألف جنيه فى الشهر •• هدمها بزلزال •

قال ابليس ـ انه حر فى ملكه يهدم فيه ويبنى ويزلزل

ويميت ويحيى كما يشاء ... أله شريك فى ملكه يقيم عليه دعوى ائتلاف .

قال الدجال ـ أنا عندى حجة مسجلة فى الشهر العقارى بالأرض والعمارة .

وهنا انفجر ابليس فى ضحكة شيطانية أكثر جلجلة من الأولى وراح يتشقلب مثل البهلوان .

ولم يتمالك كبير ملائكة جهنم « مالك » خازن النار نفسه فضرب الدجال ضربة على بوزه أطاحت بجميع أسنانه دفعة واحدة .

وانكمش الدجال من الألم حتى أصبح أصغر من الجرذ ..

ثم عادت أسنانه فنبتت كلها من جديد .

وقال ابليس ـ ان حكاية الثورة الاشتراكية سوف تكلفك كثيرا .. فان جهاز المخابرات هنا دقيق ولا يمكنك أن تتهامس بمؤامرة أو تهرب منشورا أو تضحك على الناس بأضاليل كالتى كنا نضحك بها عليكم فى الدنيا .. فان الجدران تسمع والشجر يتكلم ويدك تعترف عليك وقدمك تعترف عليك وقلبك يعترف عليك .. ان الشيوعية

كانت لعبة الأبالسة فى الدنيا كلما أرادوا أن يؤلبوا الناس بعضهم على بعض وكلما أرادوا أن يشعلوا الأحقاد ويشتتوا الشمل .. كانت الاشتراكية هى الكلمة التى ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب .. ظاهرها العمار وحقيقتها الخراب .. وكانت هى العالم الملتوى من الكلمات الذى يضل فيه الحكيم ويتوه فيه اللبيب .. وذلك كان بعض مكر ذلك الماكر الكبير كارل ماركس الذى أوقع العالم كله فى خيوطه العنكبوتية .

قال الدجال ـ وهل وقع العالم كله فى الشيوعية ؟

قال مالك ـ نعم فى ختام الزمان عاد العالم كافرا كما بدأ كافرا .. واكتسحت الشيوعية العالم ووقف المؤذن ليقول على المئذنة .. لا اله .. ثم يسكت .. ولا رسول ثم يسكت .. ورفع الله الرحمة من الصدور ورفع القرآن من القلوب .. وازدهر العلم .. وخيل للانسان أنه قد سيطر على كل شىء وبلغت الأرض غاية زخرفها وظن أهلها أنهم قادرون عليها وراح الانسان يستمتع فى حرية وبلا وازع من حرام ويستحل كل شىء .. حينذاك أتى أمر الله بغتة فجعلها حصيدا كأن لم تغن بالأمس .. الأرض تخسف والجبال تنسف والبحار تنفجر .. والقبور تبعثر ..

ويسجد النـاس ويبكون ويدعون بلا جدوى •• وتقتل الشعوب زعماءها الذين أضـلوها •• ثم يقتلون بعضهم بعضا ويحرقون جثمان لينين المحنط فى الكرملين •• ويلعن الواحد منهم نفسه •• وكنت ترى الناس سكارى وما هم بسكارى حينذاك أتت نفخة الصور •• فصـعق من فى السماوات والأرض الا من شاء الله من أحبابه المقربين •

قال الدجال وهو يرتجف : ومتى كان ذلك •

قال مالك ــ تلك كانت الساعة •

ــ معنى ذلك أن الشيوعية كان لها ختام الكلمة •

ــ نعم لأنها هى التى تكفلت بالافساد الشامل •

ــ اذن هناك أمل ••

قال ابليس : فى ماذا ؟

نغمغم الدجال هامسا : فى الثورة الاشتراكية هنـا فى الآخرة •

فقال ابليس فى استغراب : تانى •• وهل فى الآخرة غير الله رب العالمين أيها المعتوه •• وهل فى يومنا هذا حكم لأحد غير حكمه •• يا راجل افهم •

قال مالك ساخرا : على العموم ما دامت قد اختمرت فى رأسك الفكرة •• فهذا أنسب وقت لتلتقى فيه مع الرفيق باناماريوف وتتفقا معا على الخطة •

قال الدجـال متوسـلا : لا أرجوك •• كـله الا باناماريوف •• أرجوك أقبل يديك وقدميك •• أقبـل رأسك •• وأتوب •• وأرجع فى كلامى •• لا اشتراكية •• ولا شيوعية ••

ولكن مالك كان قد بدأ يجره من رأسـه ويكبه على وجهه فى جهنم ساحبا اياه كالدابة الى زنزانته •

وكان الدجال •• يصرخ :

ــ الرحمة •• الرحمة •• ارحمونى •• تبت ملعون أبو الشيوعية •• طبقية طبقية •• زى ما أنتم عاوزين •• بس سيبونى •• يا مغيث •• يا لطيف ••

زهرة الرند

وألقى مالك بالدجال على وجهه فى الزنزانة ٠

وسمع الدجال من يقول له :

ـ أهلا بعميل الامبريالية الأمريكية ٠٠ أهلا بالرجيم المأفون ٠٠

فعلم الدجال أنه وصل الى باناماريوف ٠

وتحامل على نفسه وقام واقفا ٠

وكانت الزنزانة شيئا رهيبا ٠٠ فسقف الزنزانة هو أسفل عرش ابليس حيث تتدلى قدماه وهو جالس ٠٠ قدم منهما على رأس الدجال والآخر على رأس باناماريوف ٠

وما تلبث الرأس التى يستقر عليها هذا القدم الجهنمى أن تغلى وتفور فقدم ابليس مثل كل جسمه بضعة من نار ٠

ولهذا ما لبثت رأس الدجال أن بدأت تغلى ثم بدأ دمه يغلى ثم بدأ يصاب بالجنون ٠

ولم يتوقف باناماريوف عن الكلام لحظة وكأنه ماكينة مركب عليها أسطوانة قديمة لا تكف عن الدوران ٠٠ وظل يدمدم بصوته الخشبى :

— ان الجماهير الكادحة وطبقة الشغالة التى تعيش ضحية الاحتكارات وتراكم رأس المال وتدفع حياتها لتعطى الرأسمالى فائض القيمة الذى يصنع به مزيدا من الاحتكارات •• ان هذه التناقضات الديناميكية تؤدى الى انهيار البناء الفوقى للتركيب التحتى للمجتمع البورجوازى •• ان الفهم اللينينى للخلفية الجدلية يكشف هذا الاستغلاق الاستنبطانى للاستشكال الوضعى للشرعية البروليتارية للمنظور الدياجوجى •

— ايه يا بنى الكلام اللى بتقوله ده ••

— هذا هو الفصل الرابع من كتاب التوعية الشيوعية فى العالم الثالث لبولجاكوف •

— توعية ايه وهباب ايه •• انك تقضى على الشيوعية قضاء مبرما بهذا الهراء •• الشيوعية لم تنتشر فى بلادنا بهذه المنشورات وانما انتشرت كوعد كاذب للمحروم بأنه سيملك ويحكم غدا وانتشرت لأنها صادفت هوى الشاب الذى يريد أن يستريح من تكاليف الدين ومن عبء الحلال والحرام •• كما انتشرت بين الشباب المثالى الرومانتيكى لأنها قدمت له الحلم الذى يحلم به بالموت فى السجون فى سبيل الشعب فدفع حياته فى سبيل هذا الوهم الكاذب ••

إن قصة الشيوعية فى العالم الثالث هى قصة تحريض الجياع على الشبعانين •• وهو أمر سهل ويمكن أن تجمع به أمة وتقود مظاهرة وتسقط نظاما •• بدون هذا الهراء •

اسمعنى واترك هذا الكلام الفارغ •• وتعال معى وسنخطط معا انقلابا شيوعيا يغير حكاية الآخرة كما غير حكاية الدنيا ••

ولكن باناماريوف ظل فى واديه الآخر يردد بصوته الخشبى :

— ان التراكم الديناميكى للتناقضات الجدلية لأمور التشغيل فى الوضع المتدهور للمجتمعات البورجوازية الحالية يؤذن باستفحال المضاعفات المركبة للبنية الفوقية للعلاقات المتداخلة للهيكل المتخارج للتكوين الابستمولوجى للشرعيات المقننة للترابطات الفوق تحتية •

— يا نهار أسود وأنا حاعيش طول حياتى فى الوش ده ••

— وكما يقول لينين فى نهاية الامبريالية أن الهلامية الميتافيزيقية والتصورات الخاوية للعقلية المنغلقة الانفرادية الذاتية والشيزوفرينية الانتكاسية للخيالات الطوباوية •

ــ يا نهــار أسود •• أنا حاعيش حيــاة أبدية تحت كابوس من الهراء •• مستحيل •

وكان ضــغط دمه قد أخذ يرتفع ثم يقفز متلاحقاً فى الارتفــاع وراح نافوخه يغلى ثم يفور •• وباناماريوف ما زال يدق على رأسه بهذه النبرات الخشبية حتى خيل اليه أن ذلك الصوت الخشبى يتخلل كل خلية وينخس فيها ثم ينخس فى عظامه •• وأخيرا انفجر فى صرخة هائلة مدوية :

ــ يا هوه •• يا شياطين •• يا زبانية •• الرحمة •• الرحمة •• الرحمة •

ورفع ابليس احدى قدميه •• تلك القدم الجهنمية التى كانت مستقرة على رأسه •• فخف الغليان قليلا •• والتقط الدجال أنفاسه ••

وجاء مالك وزبانيته يحملون مائدة طعام وشراب • قال مالك مبتسما :

ــ ماذا دهاك •• عطشان ؟•• جوعان ؟•• خذ اشرب عندنا زفت مغلى •

ــ هات متشكر •• أحسن ألف مرة من هذا السرطان الذى كان ينخس فى نافوخى ••

ــ تأكل ؟!!•• عندنا شوك •• وحنظل •• وعلقم •• وزقوم •

ــ هات بارك الله فيك •• هل عنــدك سم من الذى قتلتم به عبد الحكيم عامر ؟

ــ عندنا جميع السموم التى تخطر على بالك •• ولكنك سوف تأكل منهــا عدة أطنان ولا تموت وانمــا تتعذب فقط ••

ــ أعوذ بالله •• أليس عندكم مخدرات ؟

ــ هذا عالم تذكر وليس عالم نسيان كلما امتدت بك الحياة ازددت صحوا •

ــ يا حفيظ •• اذن كيف يغيب الانسان عن وعيه ؟

ــ لا سبيل الى ذلك أبدا •

ــ ولكن يمكننى أن أقطع رأسى بهذه السكين •

ــ واختطف السكين من مائدة الطعام وأخذ يجز رقبته •• فقال مالك مبتسما :

ـ لا تتعب نفسك • سوف تنمو رأسك ثانية كما كان يحدث عندكم فى أفلام ميكى ماوس •• ولن تزداد الا عذابا •

وصرخ الدجال :

ـ اذن كيف الهرب من ذلك الـ باناماريوف ؟

وكانت بطنه قد بدأت تنتفخ من كثرة ما أكل من زقوم وبدأ يتلوى من الألم وهو يصرخ •

ـ أليس حراما أن آكل أنا هذا الزفت بينما خادمى الزنجى الذى كنت أضربه بالحذاء يتنعم عندكم فى الجنة مع الحور العين ويأكل الفاكهة ألوانا •• أنا •• النجم الذى ملأ الدنيا ضجيجا وغطت صورته أغلفة المجلات والجرائد وملأت أعاجيبه وسيرته قنوات التليفزيون •

قال مالك :

ـ نجوم الدنيا ليسوا نجوم الآخرة •• وكم من نجم فى الدنيا مشى خلف جنازته خمسة ملايين وبكاه الباكون وانتحروا على نعشه ثم هو الآن نكرة لا ذكر له ولا اسم فى أسفل سافلين •• وكم من ناس عاشوا لا يدرى بهم أحد

وماتوا لم يمش خلفهم ثلاثة وهم الآن فى الجنة لهم معراج وشفاعة •

ـ ترى من هو نجم نجوم الجنة وشمس شموسها ؟

ـ هو محمد عليه الصلاة والسلام العارف الكامل والعبد الكامل الذى كان كلما ازداد معرفة ازداد عبودية •• ذلك هو شمس شموس الجنة وله جنة خاصة به وحده هى جنة الوسيلة وله الشفاعة العظمى •

ـ ألا يمكن أن يتشفع لى فأخرج من هذا البلاء ؟

ـ انما يتشفع للمؤمنين وأهل التوحيد الذين مشوا على قدمه ثم زلت بهم طبيعتهم وغلبتهم بشريتهم فعصوا مرة أو مرات •• أما أمثالك فمن هؤلاء الذين قال له الله فيهم « استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله » •• والشفاعة لا تجوز الا باذن الله ومشيئته ولا شفاعة ضد المشيئة •• انما الشفاعة هى عين المشيئة •

ـ ولكن الله رحمن رحيم ولا قانون يحد رحمته وقد يرأف بحالى •• وهو يفعل ما يشاء ولا يسأل عما يفعل وليس من حقك أن تحد من رحمته •

ـ ليس من حقى ولا من حق أحد أن يحد من رحمة الله ولو أنك عرفته بهذه الصفات فى الدنيا ولو أنك عملت على مقتضى هذه المعرفة لكان بينك وبينه الآن عروة وثقى وحبل متين وعهد تتوســل به •• أما وقد أنكرته وجهلته وأعلنت ألوهيتك وقلت أنا الذى أحيى وأميت•• فقد قطعت حبل النجاة بينك وبينه وأصبحت واقفا وحدك •• فحسبك ونفسك •• انقذ نفسك •• هذا يوم يجمع الله حوله أهله الذين عرفوه واتبعوه ويجمع الشيطان حزبه الذين عرفوه واتبعوه •• أليس هذا هو العدل •

ـ أنا لا أسأل العدل بل أسأل الرحمة •

ـ لقد قال الله أنه لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء •

ـ وهل أشركت ؟

ـ وأكثر •• لقد أقمت نفسك الهــا تحطم الشرائع الالهية وتنسخها بكلماتك •

ـ هيــه •• يا مالك •• كنت أمزح •• كان هــذا مزاحا سخيفا •

ـ ونحن أيضا سنزح معك مزاحا سخيفا •• ألك فى طلب آخر ؟

ـ لا •• أرجوك •• لا تذهب وتتركنى لهذا الحيوان •• اعطنى بعض الزفت أشربه •• وبعض القطران أيضا •• وبعض البول ودعنى آكل من هذا الشوك حتى يصعد الى أذنى فيسدهما •• ألا تلاحظ أن هذا الحيوان باناماريوف لا يأكل ولا يشرب وانما يتكلم كلاما متواصــلا •• ولا يتوقف لحظة عن الــكلام •• ما حكايته خبرنى بالله •• وما سره •• هذا شيء خرافى •

فقال مالك وهو يبتسم :

ـ لقد جعله الله اله من آلات تعذيبه فى الدنيــا والآخرة •• وهو أشد آلات التعذيب تنكيلا •

ـ نعم ان كلماته لا تتوقف وهى تنخس فى النــافوخ حتى ينفجر •

ـ ذلك هو السخف المطلق وهو كالشر المطلق والكفر المطلق أسفل درجات جهنم •

ـ ولمــاذا جسد لنا الله هذا السخف المطلق ؟

ـ لندرك جمال العقل ولطف الاحساس ونور الحكمة .. فنحن مخلوقون بطريقة لا نعرف بها النور الا بالظلمة .

ـ لقد عرفت والله العظيم عرفت وتبت واستغفرت .

ـ لا أظن أنك تبت تماما .. فقد كنت منذ لحظات تخطط لثورة اشتراكية فى الآخرة .

ـ كنت أمزح والله العظيم .. وكان مزاحا سخيفا .. وأنا عيبى انى لا أستطيع أن أكف عن المزاح السخيف .

ـ بالضبط وهذا ما جمعكما فى زنزانة واحدة .. ذلك الشيء المشترك .. السخف .. لقد اعترفت الآن على نفسك .

ـ نعم .. لقد حلت على اللعنة بالفعل .

ـ والآن وداعا يا عزيزى الدجال .

ولكن الدجال عاد يمسك بتلابيبه ويبكى ويسترحم ويقبل الأقدام .

ـ دقيقة واحدة .. لا تتركنى بحق الله .. لا تدعنى بحق محمد .

ـ استحلفتنى بالعظيم والأعظم ولك هذه الدقيقة فأوجز ولا تطل .

ـ سؤال واحد .. ألا يمكن أن تأتينى بزوجتى أم العيال ؟

ـ أى زوجة فيهم لقد تزوجت ثمانين زوجة واستحللت فروج خمسة آلاف امرأة دون زواج .. وقد أنجبت من الكل عيالا بلا عدد .

ـ زوجتى « زهرة الرند » جميلة الجميلات وفتنة الفاتنات ورفيق العمر الطاهرة الوفية التى لم تخنى ولم يخطر ببالها غيرى طوال ستين عاما .

فأجاب مالك فى صوت قاطع مقتضب :

ـ زوجناها لابليس .

فانتفض الدجال وكأنما طعن فى صدره طعنة نافذة .

ـ زوجتوها لابليس .. كيف .. أتزوجون الناس على كيفكم .

ـ هى التى راق لها ابليس ورافقت له .

ـ كيف وهى أطهر من قطر الندى وأوفى من عذارى الأحلام .

فقال مالك وهو يتحسس الألفاظ :

ـ ليس بالضبط .. يبدو أن الأمر اختلط عليك .

ـ ماذا تعنى ؟

ـ أعنى أنك أحسنت الظن بنفسك أكثر من اللازم .

ـ بنفسى أو بها ؟.

ـ بالاثنين .

ـ ماذا تعنى أفصح ولا تعذبنى .

ـ أعنى أن « زهرة الرندة » الوفية الطاهرة قد خانتك مع طاهيك وبوابك وسائقك وخادمك وأصدقائك .. واستحل فرجها خمسة آلاف رجل هم عدد من زنيت بهم من نساء .. وكانت كلما رقدت فى حضن رجل واستبدت بها اللذة صرخت فى نشوة .. أين المخنث المأبون زوجى ليتعلم كيف يضاجع النساء .

فصرخ الدجال صرخة شقت دماغه نصفين وخرج لها قلبه من صدره .

وخرجت أحشاؤه من بطنه .. ثم عاد فصرخ :

ـ اللعنة على جميع النساء .. احرقونى بالنار .. احرقونى حتى أنسى .. احرقوا دماغى .. احرقوا عقلى .. احرقوا ذراعى .. احرقوا أناملى التى لمستها وتحسست خديها .. احرقوا شفتى التى قبلتها .. احرقوا لسانى الذى قال لها أحبك أعبدك .. احرقوا الكذاب الذى عاش عمره فى الكذب .. صدق رب العالمين .. أنا لا أصلح الا للعنة ولا تصلح اللعنة الا لى .. اذهبوا عنى .. لا أريد أن رأى أحدا .. أريد أن أبقى وحدى .. أن أموت خزيا وأهلك عارا .

وكانت دموعه تسيل نارا ذائبة ملتهبة .

وخرج مالك وزبانيته .. وتركوه وحده مع باناماريوف .

وراح الدجال يأكل نفسه وكلما أكل عضوا عاد فنما من جديد أكل يديه وذراعيه وأكل قدميه وأكل ساقيه وأكل لسانه وابتلع شفتيه .. وكأن احساسا بالخزى فى داخله يأكله كالنار ولكن لا فائدة فقد عادت هذه الأعضاء فنمت من جديد فى فورية عجيبة ثم أبلس من اليأس فكب

وجهه فى الأرض وتكوم وانكمش حتى أصبح مثل قنفذ أسود •

وعادت نبرات باناماريوف الخشبية تعلو وتتسلل الى خلاياه فتنخس فيها خلية خلية •

ـ ان التركيب الهلامى للبنية الفوقية كما يقول لينين هو صورة انعكاسية للعلاقات المادية التداخلية وعلاقات الانتاج الترابطية والمعاناة التحتية البروليتارية ولكن فى تكوين هيولى لا يصمد لحركة الشغالين وتجمعات القاعدة الصلبة للتنظيم الهرمى الحزبى وأن الامبريالية التآمرية فى صراعها مع التكوينات البيداجوجية والتجمعات التكنوقراطية فى ظل الثيوقراطية والمنشفية هى جوهر الماركسولوجيا •

وكان الدجال يضع أصابعه فى أذنيه ولكن الكلمات كانت تنخس فى نخاعه وما لبث أن انفجر صارخا •• هذه المرة صرخة أعظم من الأولى سمعتها السماوات السبع والأرضين السبع •

ـ لا •• لا •• لم أعد أحتمل •• الرحمة •

يا مالك •• فليقض علينا ربك •

وأعقب الصرخة سبعين ألف سنة من الصمت المطبق قبل أن يجيب مالك باذن والهام من ربه •

ـ انكم ماكثون •

اخسأوا فيها ولا تكلمون •

يا أهل الجحيم عذاب ولا موت

ويا أهل الجنة نعيم ولا موت

جفت الأقلام وطويت الصحف

وحقت كلمة ربك لا راد لحكمه ولا معقب لكلماته • وكان الدجال قد انسحق الى تراب كل ذرة فيه تتعذب •

حكايات الرجل الحكيم

صياد الحقـائق

قال الرجل العجوز ..

لا تنظر الى ما يرتسـم على الوجوه ولا تسـتمع الى ما تقوله الألسن ولا تلتفت الى الدموع فكل هـذا هو جلد الانسان والانسان يغير جلده كل يوم ولـكن ابحث عمـا تحت الجـلد .. لا ليس القلب ما أعنى فالقلب هو الآخر يتقلب ولهذا يسمونه قلبا .. ولا العقل فالعقل يغير وجهة نظره كلما غير الزاوية التى ينظر منهـا وقد يقبـل اليوم ما أنكره بالأمس ألا يبدل العلمـاء حتى العلمـاء نظرياتهم .

لا يا ولدى .. اذا أردت أن تفهم انسانا فانظر فعـله فى لحظة اختيار حر وحينئذ سوف تفاجأ تماما فقـد ترى القديس يزنى وقد ترى العاهرة تصلى وقد ترى الطبيب يشرب السم وقد تفاجأ بصديقك يطعنك وبعدوك ينقذك وقد ترى الخادم سيدا فى أفعـاله والسيد أحقر من أحقر خادم فى أعمـاله وقـد ترى ملوكا يرتشون وصـعاليك يتصدقون

انظر الى الانسان حينما يرتفع عنه الخوف وينام الحذر

وتشبع الشهوة وتسقط الموانع فتراه على حقيقته يمشى على أربع كحيوان أو يطير بجناحين كملاك أو يزحف كثعبان أو يلدغ كعقرب أو يأكل الطين كدود الأرض .

اسمع قصتى يا ولدى واعتبر فقد بدأت الحياة تعلمنى والحوادث تؤدبنى منذ صباى منذ أن كنت فى العشرين طالبا أسكن على السطح وتحتى فى العمارة تسكن جارة جميلة متزوجة من رجل كهل مريض بالقلب .

وكانت الجارة الجميلة تتردد على غرفتى وتساعدنى فى حياتى من باب العطف والخلق الكريم والجيرة الطيبة هكذا كان يبدو لى فهى تغسل لى ثيابى وتدبر طعامى وتشترى لى من الكتب ما لا أستطيع شراءه ثم فى ساعات ترفع الكلفة وتمضى تشكو لى سوء حظها وتبكى .

وماذا تفعل مع انسان يبكى بحرارة سوى أن تضمه فى حنان وتربت عليه .

ثم كيف تسير الأمور بين رجل وامرأة متحاضنين .

هذا أمر تتكفل به الطبيعة .

ثم يسوق اللسان ما شاء من أعذار عن الحب والهوى

والهيام .. وتصدق الدموع على المشهد المؤثر . وتكتمل اللوحة باتيان ذلك الفعل القديم قدم آدم وحواء .

ثم تصبح الحكاية عادة .

وتتشابك الأيدى فى عهود ومواثيق وايمان مغلظة بالزواج والوفاء حتى الموت متى سمح الظرف .

ثم يسمح الظرف فجأة فيموت الزوج بالسكتة القلبية ويخلو الجو وتسقط الموانع وتتبخر العقبات .. فماذا يحدث ؟

تنشغل الجميلة وتتشاغل وتغلق بابها وتنكر نفسها وتمرض وتتمارض .

ثم أسمع أنها تتردد على طبيب عند رأس الشارع .

ولم تكن بها علة والطبيب ولا شك أدرك أنه ليس بها مرض ولكنه مع ذلك ظل يتابع كتابة الروشتات والفحص ثم اعادة الفحص ثم التصوير بأشعة اكس والعلاج بالأشعة تحت الحمراء ثم طلب رسم قلب وطلب رسم مخ وطلب تحليل دم ثم جلسات كهربا ثم انتهت القصة المشوقة بجلسة عائلية سعيدة وكتب كتاب .

لا شك أن المرأة عندها مواصفات مختلفة حينما تفكر فى الزواج غير المواصفات التى تطلبها حينما تحب •

وهل كان من الممكن أن تتزوج طالب حقوق فاشل وهى التى أصبحت صاحبة العمارة والوارثة الوحيدة لربع مليون جنيه •

اسمع يا ولدى بقية القصة •

الحق أنها كان عندها نظر حينما اختارت الطبيب ولكن الطبيب أيضا كان عنده نظر حينما اختارها • كان لكل منهما غرض من الزواج •

وكان غرض الطبيب أبعد فما لبث أن انتقل بعيادته الى شارع قصر النيل وما كاد يمر العام الثانى حتى كان قد أنشأ مستشفى خاصا وزوده بأحدث المعدات •

وفى العام الثالث كان يسافر الى أوروبا ليستكمل تجهيزات المستشفى هكذا قال لها ولكن حينما عاد كان قد استكمل شيئا آخر فعلى ذراعه كانت هناك حسناء سويدية مثل شعاع الشمس •

لقد استكمل نصف دينه الباقى •

وللسويدات الحسناوات منافع أخرى •

فهى يمكن أن تعمل رئيسة لحكيمات المستشفى والمديرة بالنيابة أثناء غياب الطبيب •

لم يكن صاحبنا الطبيب يضيع وقته •

وهذه فائدة الدراسة فى كليات عملية •

وأمام انفجار الزوجة الأولى وشجارها لم يجد الزوج المسكين بدا من طلاقها •

اسمع يا ولدى بقية القصة •

ولندر عجلة الزمن بسرعة لنختصر الكثير من التفاصيل التى لا جدوى منها •• ولندع العجلة تجرى بنا عشرين سنة •• ثم لنتوقف أمام هذه اللقطة المثيرة •

هذا أنا وقد أصبحت محاميا ناجحا يشار اليه بالبنان تتصدر أخباره أعمدة الصحف ويكسب لعملائه أصعب القضايا وهذه هى مرة أخرى أمامى على كرسى المكتب الوثير حبيبة الصبا أيام ليالى السطوح •

ولكن ما حدث منذ عشرين سنة لا يمكن يا ولدى أن يتكرر •

ولهذا كان لابد لى أن أوقظها من وقت لآخر قائلا .. يا أمى خلينا فى القضية .

وكالعادة كانت دائما تتعلل بقضية .

كم تغيرت الملامح .

وكم ترهل الجسد .

أهذا هو الصدر الذى كنت أتسرع عليه وأنا صغير وأبكى ؟

أهذا الفم الذابل المغضن هو الذى كنت أجن بتقبيله ؟

كم أقسم لى هـذا الفم بالحب والوفاء وكم أغلظ لى الايمان والمواثيق بالارتباط حتى الموت .

هيه يا ولدى .

كم تتغير المواقف بمضى الزمن فيخرج مساجين الأمس ليكونوا حكام اليوم .. ويتدلى من أعواد المشانق من كانوا بالأمس ملوكا .. وتذل رؤوس وترتفع هامات .. ويمضى مشاهير كانوا عناوين فى الصفحات الأولى ليصبحوا نكرات فى صفحات الوفيات لا يعلم عنها أحد وتتبخر قصص حب دفعت بأصحابها الى الجريمة ولو قدر للعشاق الذين

هاموا وسهروا وبكوا وانتحروا حبا أن يبعثوا من جديد من قبورهم ليروا ماذا كان من أمر الذين انتحروا من أجلهم لربما ضحكوا ملء أشداقهم عجبا كيف حدث أنهم أحبوهم ذات يوم وكيف تاهوا وذابوا فى تلك الملامح والعيون التى شاخت وأصبحت محاجر يسكنها المكر واللؤم .

أين كان يختبىء ذلك المكر فى تلك اللحظات الملائكية الرفافة الشفافة حينما كانت العيون تلمع مثل سماوات صافية مرقشة بالنجوم تحف بها القبلات .

يا الهى ما أحكمك حينما نهيتنا عن الهوى والغواية .

هذه أمور يا ولدى تزينها الشياطين للناس وتزفها لهم فى ثياب باهرة من الزخرف تذهب بالعقل فلا يعود الانسان يرى فى أى حفرة سوف يضع قدميه .

لا تكن يا ولدى من عشاق الوجوه بل كن من عشاق الحقائق ..

ابحث عن حقيقة الانسان تحت جلده ودعنى أكمل لك القصة .

ان السويدية الجميلة مثل شعاع الشمس لم تستطع أن تتأقلم على تقاليدنا الشرقية فهربت مع سائح فرنسى والطبيب

أصبح مريضا يرقد فى غرفة الانعاش بشلل نصفى وأنا فقدت أسنانى ووضعت أموالى تحت الحراسة ولم أعد أملك الا هذا العكاز أتوكأ عليه •

لقد أفلسنا جميعا •• كل الأطراف •• ولم تبق منا الا أوهام تصورناها فى زمانها انها حقائق فاستعبدتنا وأضلتنا وهى قبض الريح •

أتظن يا ولدى أن أحدنا قد أحب حقا أم أنها كانت الأنانية مطلقة السراح •• والمصالح تلبس ثياب العواطف •• والشهوات ترتدى أزياء النبلاء •• والأطماع تدعى البراءة •

لهذا يا ولدى قلت لك •• لا تنظر الى ما يرتسم على الوجوه ولا تصغ الى ما تقوله الألسن ولا تلتفت الى الدموع فكل هذا هو جلد الانسان والانسان يغير جلده كل يوم •• ولكن أبحث عن ما تحت جلده •• ليس قلبه ولا عقله •• فتلك أيضا أمور تتغير •• ولكن انظر الى فعله فى لحظة اختيار حر تعرف حقيقته •

تعلم كيف تكون صيادا للحقائق متسللا الى ما تحت الجلد مسترقا الى النخاع حتى لا تضيع حياتك فى الأوهام كما ضاعت حياتنا •

البنك المركزى

قال لى صاحبى المغرم بالحواديت :

ـ مجانين هؤلاء الذين يتخذون من المال هدفا لحياتهم فليس للانسان الا بطن واحدة يملؤها وهو لن يستطيع أن يلبس الا بدلة واحدة كل مرة ولا أن يسكن الا بيتا واحدا فى وقت واحد فاذا زادت ثروته على حاجاته فلن تكون هذه الزيادة فى خدمته بل سيكون هو الذى يعمل فى خدمتها •

وهل نفعت شاه ايران ملايينه •

انه يملك سبعة آلاف مليون جنيه ويعيش مع حاشية من الحراس فى عدة قصور وراء أسوار عالية فى جزر الباهاما والذين يعيشون مع الرجل المسكين يقولون انه يأكل ولا يهضم ويضطجع ولا ينام •• ويعيش فى الخوف والرعب والقلق ويده على زناد مسدسه فاذا ثقلت أجفانه من التعب هاجمته الكوابيس •• وقد نقص وزنه أكثر من خمسة عشر كيلوجراما وأصبح لحما على عظم وغدا شبحا يتحرك وظلا مرتجفا يكلم نفسه •

وماذا فعل أوناسيس بملايينه ••

لقد أحب أرملة الرئيس الأمريكى وتزوجها ..

وهل أحبها حقا .؟؟

بل المال هو الذى أحب المال .. والطمع هو الذى أحب الطمع والغرور هو الذى أحب الغرور والشهرة هى التى أحبت الشهرة .

ولم تستطع السعادة المفتعلة المصطنعة أن تصمد أمام حادث وفاة ابنه الوحيد بحادث طائرة فانهار الرجل كما ينهار جوال فارغ وتهاوى كبالون أصابه خرق وانهارت أسطورة الحب الخرافى .. ورأينا الأرملة الحزينة تظهر فى ثياب الحداد على ذراع أمير ثم على ذراع ملاكم ثم رأيناها تراقص ممثلا ثم تغازل صاحب مصانع صلب ثم فى ناد ليلى مع مليونير .

وعاد الغرور يبحث عن غرور آخر .. والمال يبحث عن مال يرافقه والطمع يبحث عن طمع يؤنسه وحب الشهرة يبحث له عن مادة واشاعات وصفحات . والبالونة تحاول أن تنفخ نفسها عبثا وقريبا يصيبها الدبوس فتنفجر كالفقاعة ولا تترك أثرا .

مجانين يا عزيزى هؤلاء الناس الذين يتخذون المال هدفا والشهرة غاية والطمع خلقا والغرور مركبا .

انهم يعبئون الهواء فى حقائب ويمسكون بالظل وينقشون أسماءهم على الماء .

انها مسألة لا تقدم ولا تؤخر اذا اشتهرت بالطيبة وأنت فى حقيقتك شرير .. فحقيقتك هى التى تلازمك . أما كلام الصحف فمصيره مثل مصير ورق التواليت والناس يغيرون وجوههم كل يوم فلا تبحث عن قيمتك فى وجوه الناس .

اسمع .. ان أفقر الفقراء اليوم يستطيع أن يركب عربة ويستقل قطارا سريعا الى بلده وكان أغنى أغنياء زمان لا يجد الا حصانا يحمله ويلقى به منهكا مجهدا بعد سفر الأيام والليالى .

وأغنى أغنياء زمان كان يتباهى بأنه يستطيع أن يجلب فرقة راقصة مغنية تسليه هو وضيوفه .. وأفقر فقراء اليوم يستطيع بضغطة على زرار أن يستعرض بضع فرق راقصة مغنية فى بضع محطات تلهو وترقص أمامه بالألوان فى تليفزيون أو راديو بينما هو يرخى أهدابه لينام فى راحة صدقنى أن الانسان لا يشكو لحاجة مادية فهو اليوم أغنى

وأكثر ترفا من قارون الأمس • ولكنه يشكو لأنه ينظر الى ما فى أيدى الآخرين •• من يركب عربة بالأجرة ينظر الى من يركب عربة « ملاكى » • ومن عنده العربة الملاكى ينظر الى من عنده العربتان • ومن عنده العربتان ينظر الى من عنده يخت • ومن عنـده يخت ينظر الى من عنـده طائرة • وصاحب الزوجة الجميلة لا ينظر الى زوجته بل ينظر الى زوجة جاره •

ان كل ما نملكه يفقد قيمته والأنظار فى تحول دائم الى ما يمتلكه الآخرون ••

ان حقيقة الأمر هو الحسـد والعدوان والحقد وليس الفقر ولا الافتقار •• وسوف تزداد الشكوى كلما ازداد الناس غنى •• ويزداد الناس احساسا بالفقر كلمـا ازداد ما يمتلكون ، لأن الغنى الفعلى هو حقيقـة نفس وليس حقيقة رصيد •

ولأى شيء يشحذ الشحاذ اذا كان يضع كل الفكة ألوفا مؤلفة من الجنيهات فى جوالات ولا ينفق منها شيئا •

ولمـاذا جمع ما جمع ••

ولمن كان يجمع ••

لا شيء سوى لذة السلب والعدوان والاحساس بأنه أذكى ممن أعطاه ، وأنه ضحك عليه •

وما ضحك فى الواقع الا على نفسه •

ليتنا نتوقف عن الجرى واللهاث باحثين عن لحظة صدق لا نضحك فيها على أنفسنا •• لحظة صدق واحدة يا صاحبى أثمن من جميع اللآلىء •• لحظة صدق واحدة هى الحياة •

هل صدعت رأسك ؟

دعنى أحك لك قصة ••

دعنى أرجع بك خمسين سنة الى الوراء الى نفس هذا الشارع الذى نسير فيه وكان اسمه شارع عماد الدين •• وعلى جانبيه كانت تتراص الحـانات والبارات والمقـاهى والمسارح وبعضها ما زال قائما الى الآن •• كان دائمـا شارع الحظ والفن والطرب •• وكان ملتقى المتسكعين من كل الأصناف •• وهنا فى نفس هذا المكان وكأنى أراه أمامى الآن •• كان يقف شاب •• ودعنا من الأسماء فهى مجرد بطاقات لا تعنى شيئا •• هو شاب ابن عيلة متخرج جديدا من الحقوق فى يده ليسانس • والليسـانس فى تلك

الأيام كان لا يعنى أكثر من اثنى عشر جنيها شهريا هـذا اذا كنت محظوظا ووجدت الوظيفة ..

ولكن الشاب الطموح كانت تعشش فى رأسه أحلام أكبر من هذا بكثير وكان متعجلا يريد الثراء فى أقصر وقت وبأى سبيل .

وكان له عم يحدثه عن باريس وعن السوربون ويكلمه عن السفر والدكتوراه .. ويقول له سـوف أنفق عليك وأتكفل بك ..

وسافر الشاب الى باريس .

ولـكنه كمـا قلت كان متعجلا ومشـوار السوربون والدكتوراه كان أطول بكثير من خطوته .. وكان شارع البيجال أكثر جاذبية وأقل مشقة .

وبدأ صاحبنا دراسته من شارع البيجال من عند فتاة بار ألمـانية شقراء .

وطافت به مارجريت على علب الليل ونزلت به الى عالم البدروم والستريبتيز والمخدرات .

ثم أخذته الى ألمـانيا وعرفته على شقيقها تاجر المخدرات فى ميونخ .

وأنفق عليه الهر شلاير فى بذخ خرافى وفتح أمامه أقصر الطرق الى خزائن الأحلام .

وهكذا غدا صاحبنا عضوا عاملا فى أكبر عصابة تهريب تعمل بين تركيا ولبنان واسرائيل وأوروبا والشمال الافريقى وأصبح مليونيرا فى شهور ثم قاتلا قبل أن يمر عام واحد ثم مسجونا فى مدريد ينام على الأسفلت ويتبول فى برميل ثم هاربا تطارده المدافع الرشاشـة والـكلاب البوليسية ثم مسجونا من جديد فى سجن برلين وراء عيون الكترونية وقضبان غليظة وأسوار مكهربة .

تجرى هـذه الأحداث مسرعة وتجرى أحداث الحرب العالمية الثانية فى موازاتها مسرعة هى الأخرى .

والسنوات تمر حبلى بالكوارث .

وصاحبنا مسجون .

والقنابل تتساقط على برلين .

والحلفاء يدخلون برلين من ثلاثة مواضع .

وكل شىء ينفجر من حوله ومن فوق رأسه ومن تحت رجليه •

وينفجر السجن ويجد نفسه فى العراء شبحا يجرى فى الدخان والبارود .•

هيكل عظمى لرجل متسول •

ويشاهد أمامه ألمانيا أخرى غير التى عرفها •

أنقاض وخراب وأشلاء وجوع •

ونساء تبيع الواحدة نفسها برغيف وسيجارة •

والكل ينهب ويسرق ويقتل •

وبنك الرايخ الألمانى على الأرض •• البنك المركزى الألمانى الذى كان يضمن كل مؤسسات وشركات ألمانيا ويقرض الدول والجماعات أصبح أعمدة من الخرسانة وحفرا وفجوات وأكواما من التراب •

ولعل كثيرين قد فكروا مثله •

ولعل بعضهم سبقه •

انها خبطة العمر •

أن يعثر على خزينة محطمة فى تلك الأنقاض وأن يملأ حقيبته بملايين الماركات ويحل كل مشاكله فى لحظة والى الأبد •

ان الكل ينهب والكل يسرق والكل يقتل •

والجريمة هى القاعدة والجنون هو الدستور •

هل تصدق يا صاحبى ••

لقد عثر الرجل بالفعل على ضالته وملأ حقيبته بملايين الماركات وعاد كالمجنون ليقرأ فى الصباح مانشتات عريضة فى جميع الصحف بافلاس العملة والغاء المارك الألمانى •

وهكذا تحولت الملايين فى يده الى صفر هكذا فجأة وفى غمضة عين وفقد الرجل عقله •

البنك الذى كان يضمن العالم أصبح غير مضمون •

لا حول ولا قوة الا بالله •

هذه جنازة تخرج من الشارع يا صاحبى •

ترى جنازة من ؟

من قال أن أحدا يستطيع أن يضمن أحدا •

الضامن هو الله •• تعال معى نشيع الرجل ••

ان معدتك لن تضمن لك بأنك سوف تهضم فقد تضرب معدتك عن الهضم وأمعاؤك عن الامتصاص فتشرب ولا ترتوى وتـأكل ولا تشـبع وتموت من الجوع والعطش وبطنك ملأى بالمـاء والطعام ••

البنك الذى كان يضمن العـالم لم يستطع أن يضمن نفسه يا صاحبى الضامن هو الله •

من يضمن لك أنك سوف تعبر الشارع بسلام •

وهل تصور المرحوم الذى نشيعه الآن انه سوف يعبر الشارع محمولا على الأكتاف •

لو أن الشاب بطل قصتنا لم يتعجل ولم يطلب الثراء بأى ثمن لكان له شأن آخر •

ولو أنه سار معنا وراء هذه الجنازة لرأى المقابر ملأى بألوف الموتى ممن كانوا متعجلين مثله ولم يصلوا الى شىء •• ولربما تغير تفكيره •• ولربما اعتبر •

ان مشكلة الانسان أنه قليل الصبر وأنه يحـاول أن يحصل على كل شىء فى التو واللحظة ولا سبيل الى ذلك الا بالجريمة •

ومشكلة كارل ماركس أنه حاول أن يختصر التـاريخ ويحقق الجنـة على الأرض فكانت نظريتـه هى الأخرى جريمة •

ولم يتحقق له الا القتل •

هل تعرف لمـاذا لا نصبر •

لأننا نقول دائما لأنفسنا •• ومن يضمن لنا المستقبل اذا ضحينا بالحاضر •

ولا أحد يفكر بأن الله هو الضامن وأنه هو الحقيقـة الوحيدة المؤكدة وأنه خالق الوجود وضامنه •

ان بنك الرايخ الألمـانى الذى كان يضمن العالم لم يستطع أن يضمن نفسه •

ولو امتلأت النفوس بهذا الايمان لانحلت العقدة •• ولكن لا ايمان اليوم رغم كثرة المـآذن •

انها مجرد مصاحف مدلاة على الصدور •

لكن الصدور نفسها ليس فيها شىء سوى رغبة محرقة فى اغتنام لذة أو انتهاز مصلحة •

هيه يا صاحبى •• ترى هل اعتبرت ••

أم أنك فى حاجة الى قصة أخرى •

•• هل تعرف من هم المؤمنون ؟

انهم الذين لا يحتــاجون لأى شيء ولا يتعجلون أى شيء ••

تبسيط المســائل

قال العجوز الحكيم :

ـ أخطر شيء يا صاحبى هو تبسيط المسائل وتلخيص الحياة فى نقطة والسعادة فى مطلب •

يقول الواحد منا لنفسه •• لو انى كسبت هذه الورقة اليانصيب لانتهت جميع المشاكل •

لو أنى تزوجت هذه المرأة لأصبحت أسعد انسان •

لو انى هاجرت الى أمريكا لحققت كل أحلامى •• لو انى تخلصت من هذا المرض المزمن الذى ينغص على حياتى لصنعت من نفسى رجلا عظيما •• لو •• لو •• لو ••

ودائما تتبسط المسألة فى نقطة واحدة وقديمــا تصور فرويد تبسيطا شديدا للنفس الانسانية فقام بتفسير جميع حوافزها وعقدها وانحرافاتها بالحافز الجنسى •

وأخطأ فرويد •

وكان سبب الخطأ أن الحياة لا تقبل التبسيط وانهــا نسيج معقد متداخل من عدة عوامل •

واذا حاولت أن تبسطها فانك تمزقها فى نفس الوقت •

ولاشك أن كل الكائنات الحية هى فى النهاية وبتبسيط شديد « ماء وتراب » •

ولكن هل هى كذلك •• أبدا •

ان التبسيط قتل الحقيقة •• وهذا ما يقع فيه كل انسان منا حينما يتصور أن كل حياته تبدأ وتنتهى عند الحصول على هذه المرأة اذا فقدها ضاعت حياته واذا فاز بها فاز بنعيم الدنيا والآخرة •

ونتيجة هذه الرؤية التوحيدية المركزة تتوتر أعصابه فلا يعرف طعما لأكل أو نوم أو راحة ويسقط عليلا مثل مجنون ليلى •• وقد يبتلع أنبوبة أسبرين ليتخلص من عذابه •

ولو أن مجنون ليلى حصل على محبوبته ليلى وتزوجها وتحقق له ما كان يحلم به لأفاق من جنونه تماما ولعاد له عقله من أول لكمة فى الفراش من ليلاه العزيزة وهى تقول له •• ابنك عنده اسهال •• وبنتك تقيىء طول الليل •• وأنا طهقت •• روح شوف أمك تشيل عنى العلل دى •• أنا قرفت منك ومن ولادك •

قطعا كانت جميع الرؤى الشعرية والأطياف الملائكية

ستتبخر من دماغه ويلعن اليوم الذى نظم فيه قصيدة أو كتب موالا •• ولربما قام وهو يبرطم ويسب وجلس على باب الخيمة وأنشد قصيدة يلعن فيها القمر والشجر وحياة مثل حياة البقر •

ولكن الله لم يبلغه مراده لأنه أراد أن يكون للوهم ملوك يفتنون الناس كما أراد أن يكون للحقيقة ملوك يوقظون الناس •• ليجرى امتحان النفوس فى عدالة بين شد وجذب الفريقين •

آسف لهذه المقدمة الطويلة التى صدعت بها رأسك •• ولكنى أردت أن أثير فكرك قبل أن أقص عليك هذه القصة العجيبة •

وبطل قصتنا طبيب جراح له أنامل موسيقية وروح موسيقية وهو يعيش بوجدان شاعر مرهف الاحساس ذواقة للجمال •

ويمكن أن تتصور حياة رجل مثل بطلنا يعيش مع زوجة مثل كرة من اللحم والشحم ثرثارة بليدة الحس غليظة الطبع خاملة المشاعر •• حياة كان يقول عنها أنها أشبه بمصارعة الثيران •

ثم يمكنك أن تتخيل ما يحدث حينما يقابل المرأة الأخرى • •الفراشة فى رهافتها المانكان فى خطوتها الموسيقية فى نبرتها الملائكية فى روحها النورانية فى طباعها •• تلك التى كان يصفها بأنها قطرة ندى أو شعاع فجر •

ويمكنك أن تتصور جنون كل منهما بالآخر •

ثم دموع الاثنين وعذاب الاثنين فكل منهما متزوج •

وهى لا تستطيع الفكاك دون دم وجراح وقطع أرحام •

وهو لا يريدها أن تعبر اليه على أشلاء أحد فلم يبق لهما الا الصبر والصلاة وانتظار معجزة •

واعجب معى يا صاحبى فقد حدثت المعجزة وتدخلت السماء ومات الزوج وطارت الحمامة رفافة الجناحين الى ذراعى حبيبها •

لعلك توقعت مفاجأة مثل مفاجأة زواج قيس وليلى •

لا يا صاحبى اطمئن •

ان الطبيب العاشق يقول بنص كلماته •• لقد وجدتها مثل ما تصورت وأجمل •• وجدتها نورا مذابا وشفافية حلوة وخلقا متكاملا وظلا ظليلا وواحة حب وجنة مصغرة على الأرض •

ولعلك تسأل الآن •• وأين المفاجأة ؟

المفاجأة يا عزيزى كانت نقطة تافهة أهملها البطل ونسى أن يدرجها فى الحساب •• هى جنون السرعة •

كانت البطلة مغرمة بجنون السرعة •

وكانت فى لحظات النشوة والسعادة تطلق لسيارتها العنان فيقفز مؤشر السرعة الى ١٨٠ كيلومتر •

وهكذا قفزت السيارة ذات مساء وذات نوهة بريئة فى ضوء القمر عدة أمتار فى الهواء ثم انقلبت لتدور حول نفسها عدة دورات •

وخرج الطبيب من الأنقاض ليعيش بساقين خشبيتين وذراع صناعية •

وهو الآن يتساءل على الدوام وهو يدفع بكرسيه ذى العجلات •• ألم تكن حياته مع كرة اللحم والشحم الثرثارة الخاملة المشاعر الغليظة الطبع التى وصفها بأنها كانت حياة كمصارعة الثيران أفضل بكثير مما كان ينتظره مع الفراشة الملاك المانكان الموسيقية النبرات •

ألا يخطىء الانسان أحيانا حينما يبسط المسائل ويتصور

أن حياته مع تلك المرأة ستكون جنة فلا يطلب من الدنيا غيرها ولا يرى فى الوجود مثلها ولا يتخيل كمالا الا فيها •

وهل يصح التبسيط فى مسائل معقدة ملغزة بطبيعتها مثل القدر والانسان •

ألا تبدو المسائل أعقد بكثير مما تتصور فيأتينا الخير أحيانا مما نكره ويأتينا الشر مما نحب •

•

الفســتان

كان الرجل ينادى على المزاد بصوت جهورى والعيون من حوله تحملق فى المعروضات •

فستان الأميرة جلبهار مطرز بالمـاس والياقوت والفيروز كرسى فوتيـل موديل لويس الرابع عشر •• سرير بظهر منجد كابتونيه بلوحات من الحرير الملون •• فازة سيراميك بلجيكى عليها صورة الامبراطورة كاترينا •• تحف قصر صاحبة الفخامة الأميرة جلفدان هانم •

وجلجل بالجرس •

نبدأ المزاد على الفستان •• السعر الأولى ألف جنيه •• ألف جنيه •• مين يزود •• ألف جنيه فستانُ الأميرة •• ألا أونا ألا دويا •• ألاتريا ••

وتقدم خبير فى المجوهرات وبدأ يفحص الفصوص على صدر الفستان وأكمامه ويحملق فيها بعدسة مكبرة ويهز رأسه ويمصمص شفتيه •

وتصاعدت الأرقام الى ألف وخمسمائة •• ألفين ثلاثة آلاف ، ثلاثة آلاف وخمسمائة ، أربعة آلاف ، أربعـة آلاف وخمسـمائة ، خمسة آلاف وخمسمائة •

وظل السمسار يقرع الجرس وينادى •

خمسة آلاف وخمسمائة ـ خمسة آلاف وخمسمائة •

وقام رجل من الحضور •• عجوز عجـوز مقوس الظهر مثل جميزة عتيقة يتوكأ على عكازين ويسعل ويبصـق ويمسح على نظارة سميكة مثل المونوكل •• وتقـدم من المنصة وكتب شيكا بستة آلاف جنيه وأخذ الفستان وحمله فى احترام وتقـديس كأنه يحمل مصحفا وتابعته أنظـار الموجودين وهم يتوقعون أن يكون صاحب الرولزرويس الخضراء التى يقف على بابها سائق فى زى رسمى أو أن يكون صاحب العربة الليموزين السوداء المكتوب عليهـا سلك ديبلوماسى •• ولكنه فاجأ العيون بدخوله فى تاكسى قديم متهالك ينتظره أمام الباب •

وسار التاكسى يكركر وينفث الدخان الأسود ويتوقف مثل دابة نفقت على الطريق الزراعى ثم يعود فينطلق بعد حشرجة •

ودخل التاكسى فى شـارع كبير واسع ثم فى شـوارع أضيق ثم فى حارة ثم فى زقاق مسدود •

وخرج العجوز يترنح بعكازيه ومن خلفه السائق يحمل له الفستان •

واختفى الاثنان فى بيت قديم •

وفى غرفة صغيرة على السطح كان العجوز ينقد السائق أجره ثم يغلق الباب ويحمل الفستان فى احترام وتقـديس ويمدده على الفراش وينحنى عليه يقبله فى كل شبر ويبكى وينهدج كطفل ويشم أعطاف الفستان ويهمس :

ــ حتى رائحة الروز •• ما زالت فى فستانك يا جولى •• يا أحب من أحببت فى دنياى •

وكان ينقل البصر بين الفستان وبين صورة كبيرة على الحائط للأميرة جلبهار أو جولى كما كان يدعوها وكان يكلم الفستان وكأنه يكلمها •

ــ ما أسعدنى وأنا أشترى لك الفستان للمرة الثانية وأقدمه لك للمرة الثانية يا جولى •

ان رائحة عرقك ما زالت تفوح كعطر شرقى قديم من ثنايا الحرير وأكاد أتحسس صدرك من وراء الدانتيل وأكاد أهم بتقبيله ويكاد يهم هو أيضا بتقبيلى كما كان يحلو لك أن تصورى الأمر يا حبيبتى فتهمسين فى حمى اللقاء •• ان بين صدرى وبينك حوارا يا حبيبى أكاد أسمعه ••

يا الهى •• ما أعجب ما كان يفعل بنا الضعف •• فنتحول الى أطفال نأثم فى براءة •

كان ذلك منذ ثمانين عاما ..وكنا حينذاك سادة الدنيا وأهل الوقت .

أتذكرين المرة الأولى التى قدمت لك فيها هذا الفستان هدية .. كان ذلك فى عيد ميلادك العشرين .. وفى باريس .. وكنا نرتب للزواج .. وكان كل شىء جميلا ورائعا وكنت من فرط نشوتى بك لا أدرى فى أى مكان أنا ولا فى أى زمان ولا فى أى عصر .. كان المكان والزمان هما أنت ــ كانت باريس هى أنت والوقت هو حضورك .. وكان المكان يختفى والزمان يتوقف حينما تنصرفين .

يا الهى ما أعجب ما أودعت فى الحب من أسرار .

أتصدقين يا جولى لو قلت لك انى كنت أشعر انى أعيش فى الغيب لا أحضر فى الدنيا حتى تنادينى عيناك فأحيا وأتنفس وآكل وأشرب وأحب وأرغب وأشعر بنفسى عارمة بين جنبى حتى تفارقينى فتفارقنى الروح وأعود عدما غائبا مغيبا كما كنت .

آه .. كم أحببتك لدرجة المرض والأزمة .

وكم قتلنى هؤلاء الذين دخلوا بيننا ووضعوا بين يديك هذه الخطابات عن العلاقة القديمة التى كانت فى حياتى .. ولم تكن شيئا يذكر .. بل كانت أمرا تافها وماضيا لا وزن له .

ولكنك اشتعلت نارا وظننت الماضى حيا وباقيا وأقسمت أن تتزوجى الرجل الآخر لتعاقبينى .. وقد عاقبت نفسك معى وقتلت نفسك معى ..

وبدأ الليل الطويل الذى استمر ثمانين عاما يخيم على حياتنا وفى أثناء هذه الأعوام الثمانين قامت ثورات وحروب وانقلابات وانطلقت مدافع وهتافات ورشاشات وتشرد ملوك وسجن أمراء وطرد أصحاب قصور الى العراء وتدلى من أعواد المشانق أناس كانوا بالأمس فى عزة السلطان .

فهل تصدقينى يا جولى انى لم أكن أسمع من ضوضاء التاريخ التى كانت تقصف فى الخارج الا حفيف ثوبك .

حفيف ثوبك فى ذلك المساء وأنت تختلسين الى الخطى وأنهار الدموع تغطى خديك وأنت تهمسين بصوتك المتهدج فى تلك الدقيقة الخاطفة التى التقينا فيها وكأننا قطاران يصفر كل منهما ليمضى فى طريق مضاد ..

وأذكر كل كلمة وما زلت أسمعها تأتى الى أذنى مبللة بالدمع .

لقد أخطأت يا مراد وقتلت نفسى .

أحبك ولا أمل .

أراك دائما فى كل شىء حتى فى عيون أولادى حتى فى فراش زوجى .

لم أستطع الثورة على حقيقتى فغلبت الحقيقة على كل شيء ولونت كل شيء •

وداعا ولا وداع فأنا أحملك معى حيثما ذهبت تحت جلدى وفى دمى •

وصفر القطاران ومضت كل حياة فى اتجاه •

وشعرت كأنما أنسلخ من نفسى وأمضى فى اتجاهين فى وقت واحد •

وامتدت هذه اللحظة الحافلة بالمشاعر وشخصت فأصبحت كل حياتى وغرقت كل حوادث التاريخ وضوضاء الانقلابات والثورات وبهتت وارتدت الى الخلفية البعيدة فأصبحت ستارا شبحيا خافتا يرتسم عليه صورتان كبيرتان أنا وأنت ولم أهتز كثيرا حينما صودرت أملاكى ولم أمت حينما وضعت أموالى تحت الحراسة فقد سلخت جلدى فماذا يهم أن أخذ أحدهم ثوبى والآخر حافظتى •• وماذا بعد سلب الروح والأحشاء •• ماذا يهم الرداء •

ولهذا فحينما فكت الحراسات وعادت الى بعض أموالى وجدت نفسى أسعى الى فستانك لأشتريه مرة ثانية وأهديه اليك مرة ثانية وأمرغ أنفى فى أعطافه وأشم فيه عمرى •

وماذا تهم النقود لرجل فى سنى فقد أسنانه وسمعه وبصره وساقيه •• ماذا تساوى •

وهل أنا الا حبك •

صدقينى يا حبيبتى ان عند الله لحظة يؤيدها فى كتابه ويهتز لها عرشه •• هى لحظة فراق حبيبين •

انها لحظة كانشطار الذرة أحيانا يحجب صوتها ضوضاء التاريخ كله وتتشوه بسببها الأجنة فى الأرحام ويتلوث الماء والهواء والبحر والطعام والحياة •

وذلك يحدث عند أهل القلوب •

وأهل القلوب ليس لهم طبقة •

انما صادف ان كنت حفيدا لاقطاعى •

وذلك أمر لم يتجاوز اسما فى بطاقة •

ولكن حقيقتى التى لم يعرفها أحد •• انى رجل أحب •• وان ثروتى الوحيدة التى حرصت عليها كانت حبك •• فلما ضاعت لم أشعر بأى شيء ضاع بعد ذلك •

جولى •• يا ابنتى •• يا أمى •• يا وطنى •• يا غرفتى الخاصة •• يا وسادتى •• يا سرى الحميم •• خذى فستانك من اليد التى أحببتها هدية للمرة الثانية •• والى أن نلتقى لك الروح والفؤاد •

البحث عن زوجـة

يا سادة يا كرام ..

أغلى شيء فى الدنيا هو العلم ..

والانسان لا يتعلم مجانا ..

وانما يستخلص المعرفة بالألم والمعاناة ..

من مكتبة الحياة نأخذ علمنا الحقيقى وليس من الكتب والأسفار .

وأقدم لكم نفسى أولا .

دكتور توفيق زكى دكتوراه فى الذرة والعلوم النووية من أمريكا أب لولدين وزوج للمرة الثانية .

وحكاية المرة الثانية هى الموضوع .

وكالعادة كانت هناك مرة ثانية لأن الزواج الأول فشل بجدارة .

وكانت فكرتى فى الـزواج الأول هى البحث عن ست بيت وأم وامرأة تقدس الحياة الأسرية لا يهم الثقافة ولا التعليم ولا الشهادات واخترتها ساقطة ابتدائى تكاد تفك الخط لكن طباخة ممتـازة وأستاذة فى تسبيك الصوانى والطواجن وتنفيض السجاجيد وارضاع الأطفال .

لكن كالمعتاد وبعد الشهور الأولى وبعد أن شبعت المعدة وامتلأت الأمعاء وأصبحت المسألة الطريفة حكاية مكررة كل ليلة بدأ النكد يدخل الى البيت السعيد وبدأت أشعر بالفجوة الهائلة بينى وبينها وبدأنا نختلف كل يوم فى كل شيء .. وأصبح الشارع يسمع صراخنا كل ليلة .

ورغم نومنا متعانقين فى فراش واحد كنت أشعر أن بيننا قارات وان كل واحد فينا يسبح فى محيط .

لم يكن هناك أى شيء مشترك يجمعنا سوى طـاجن البطـاطس بالفرن وصـوانى المحشى وأطباق الكوسـة بالبشاميل فاذا غسلت يدى بعد الغذاء عدت الى الوحدة والغربة وكأنى مجرد نزيل فى فندق أجنبى .

عجزت تماما عن أن أشدها الى أى اهتمام مشترك حتى ولو الى الصـحيفة اليوميـة وأعمـدة الأخبار وحوادث الأسبوع .

كانت انسـانة عقلهـا مغلق على ثلاث غرف وصـالة لا يهمها ما يجرى فى فيتنام وكمبوديا ونيكاراجوا ولا يعنيها ما يجرى فى جارة عربية قريبة مثل فلسطين .

ويستوى عندها أن تحترق لبنان أو تنـدك بغداد أو

تنفجر دمشق أو يخرج الشاه من ايران ويحكمها خومينى أو خلخلى أو بازرجان ما دامت قد وجدت البصل فى الجمعية التعاونية والأرز عند البقال والجرجير عند الخضرى .

فاذا حاولت أن أفتح معها هذه الموضوعات اسكتتنى بغلظة فاذا حاولت أن أتلطف ناولتنى لكمة وهى تقول .. نام بلا وجع دماغ أنا ما صدقت نيمت الواد .

وتصوروا ما يحدث لى يا سادة فى هذه الوحدة والغربة والخواء حينما أتعرف بالأخرى . ده شهيرة سرور الأستاذة فى الكونسرفتوار وعازفة البيانو والحائزة على ماجستير ودكتوراه فى التوزيع الكورالى وفى الهارمونى من باريس .

السيدة الناعمة الحريرية التى تكاد تذوب فى الفم من فرط نعومتها والمتحدثة الرقيقة الودودة والفنـانة الأنثى والنجمة التى لا ينطفىء لها تألق .

ويمكن لكم أن تتصوروا كيف أصبحت مكالمـاتنا فى التليفون تمتد الى خمس وست ساعات ولا نشبع فنلتقى على النيل ثم تأخذنى الى بيتها لتسمعنى معزوفة رقيقة على البيانو ثم تحكى لى تاريخ هذه المعزوفة وكيف ومتى كتبها بيتهوفن .

نسيت أن أقول لكم انها طلقت بعد زواج فاشل .

وهذا طبيعى .. فمن يستطيع أن يفهم ويقدر هـذه التحفة الجمالية النادرة .. ومن يستطيع أن يعاشر هذا الفن الرفيع الا انسان ذواقة .

ولقد كنت أنا ذلك الذواقة .

ولقد جننت بهـا حبا .. وامتلكتنى حتى ملأت على أقطار حياتى وأصبحت لا أرى سواها ولا آكل سـواها ولا أشرب سواها ولا أتنفس سواها .

وكان طبيعيا أن يرتمى كل منا فى حضن الآخر كأنه يتيم وجد أمه وأن نغرق فى حمى من الانصهار العـذب الذى لا تجدونه الا فى الكتب والأشعار والسيمفونيات .

وكان طبيعيا جدا أن أطلق زوجتى وأتزوجها وأنا أحلم بأقصى الراحة وبأنى قد وجدت أخيرا شقة خالية فى صدر امرأة .

ولكن القدر خلاف الظنون والدنيا التى أرادها الله تعبا للكل ما لبثت أن قدمت صـورة أخرى من زواج طريف غاية الطرافة .

واسمعوا معى نموذجا من هـذا الحوار الذى يجرى بيننـا •

الوقت صباحا وأنا أميل عليها وأمسح على شـعرها فى حنان وأهمس فى أذنها :

ــ ايه رأيك يا حبيبتى •• نأكل ايه النهارده ••

ــ زى امبارح يا حبيبى •

ــ احنا ماكلناش امبارح يا حبيبتى •

ــ لحقت تنسى سندويتشات الأمريكانا اللى جبتهالك معايا •

ــ نفسى تعملى لى الملوخية بتاعتك •• ده انتى ملوخيتك تجنن •• أنا قربت أنساها بقى لك شهر ماطبختليش حاجة •

ــ مش حاسة انى عاوزه أقف فى المطبخ •

ــ أمال حاسه بايه ؟

ــ حاسه بانى عاوزه أدور حوالين الهرم وأسمع كاسيت لشوبان •

وآخذها معى الى الهرم •

ونطوف حول مقابر الأسرة السادسة ونحن نستمع الى معزوفة القمر لشوبان ونسرح فى التـاريخ والجغرافيـا والحكيم أمحتوب •

وتكلمنى طويلا عن الحكيم أمحوتب •

وأقطع حديثها محاولا أن أكون رقيقا غاية الرقة •

ــ ولـكن أظن أن أمحوتب يا حبيبتى كان يأكل •• وكانت زوجته الحبيبة تصنع له أشهى الأطعمة •

ــ لا أظن •• أنت تخلط يا حبيبى بين امحوتب وبين أبو شقرا • عيبك انك لا تقرأ كفاية فى التاريخ •

ــ لقد قرأت وقرأت حتى جعت من كثرة القراءة ••

ونشترى كنتكى فى الطريق •

ونعود الى البيت •

وتتمدد على الفراش وتسرح •

ثم تبتلع حبة فاليوم ثم حبة ليبريوم وأحاول أن أقترب منها فتقول فى فتور :

ــ سيبنى شوية •

ـ مالك .

ـ جوايا تعبان .. حاسة جوايا بكآبة وضلمة وعتمة وليل .. الدنيا جوايا ضلمة أوى .

ـ أنا يا حبيبتى أنورها لك .

فتنظر الى نظرة فارغة كأنها لا تعرفنى اطلاقا وكأنى رجل لقيط التقت به صدفة وأخذته الى بيتها وقدمت اليه طعاما على سبيل الاحسان .. وان عليه الآن أن يرحل وأن يعود الى حال سبيله دون كلمة .

واقترب أكثر وأهمس فى حنان .

ـ حبيتى .. أنا جنبك .

ـ أنا عندى صداع يا توفيق .. أنا مش شايفاك ولا شايفة حد .

وأهتف فى أعماقى : يا نهار أسود عليك يا توفيق وعلى بختك .. ثم أعود فأحاول أن أتودد اليها .

ـ أجيب لك كولونيا تنعشك .

ـ سيبنى لوحدى .. نفسى أقعد سنين لوحدى ..

سنين .. سنين .. نفسى أحط الحمل اللى على كتفى وأنام .

ـ حطيه على كتفى أنا .

ـ جوايا كلام كتير مش عاوز يطلع .. كيانى مسروق منى .. بدور على عنوان نفسى مش لاقياه .. متهيأ لى ان مشيت فى الشارع الغلط .

ـ أنا مش فاهمك .

ـ أنا اخترتك من أربعين مليون انسان علشان تصورت انك حاتفهمنى وانك حاتحس بى .

ـ حا أحس بايه يا حبيبتى ده انتى معيشانى فى الغاز .. دنا بنام مع أينشتين .. أنا الدكتور فى الذرة والعلوم النووية واللى مسكت الالكترون .. مش قادر أمسك أفكارك .

ـ نفسى نبعد عن بعض شوية يا توفيق .

ـ نعم ..؟

ـ يعنى كده تسافر الك كام يوم اسكندرية تغير جو عشان توحشنى شوية .

— كمان ٠٠ أكثر من كدة ٠٠ ده احنا بقى لنا شهرين ما قربناش لبعض ٠

— كمان شهر ٠٠ مايجراش حاجة ٠

— ده أنا بقالى خمسة أشهر بقولك اعملى لى كيكة تبصى لى كأنى باتكلم مالطى أو هيروغليفى ٠

— ياه دنا نسيت خالص حكاية الكيكة دى ٠٠ عجيبة ٠٠ الله يضحكك يا شيخ ٠

— وكل ده واحنا فى شهور العسل أمال بعدين حانعمل ايه ٠٠ ده انتى بتكلمى البيانو أكثر منى ٠٠ بتعرفى عن فطور شوبان ومزاجه الشخصى أكثر من اللى بتعرفيه عنى ٠

كل يوم برجع تعبان بعد يوم مرهق من الشغل المتواصل فى العمل الاقيكى بتقوليلى عندى انغلاق ذاتى وتقلص نفسى وانكماش روحى ٠٠ أجى المسك تقوليلى ٠٠ سيبنى شوية ٠٠ حاسة الشمس بتغرب جواية ٠٠ عاوزه أموت ٠٠ أتلاشى ٠٠ ومرة تقولى لى حاسة ان سقف عقلى وقع وان جدران قلبى اتهدت ٠٠ وفيه حاجة بتسوينى بالأرض ٠٠ ومرة تقولى لى ٠٠ العصافير بتغنى فى صدرى ٠٠ عاوزة

كل الرجالة يبوسونى وأشد شعرى من الجنون فتقولين لى :

— ما هو كل الرجالة يعنى انت يا حبيبى ٠٠ من امتى أنا حبيبك وانتى عايشة فى فلك وأنا فى فلك ٠٠ توصلنى منك كلمة بالتلكس وتضيع ألف ٠٠ أنا وحيد ياشهيرة ٠٠ وحيد ٠

— وأنا وحيدة أكثر منك يا حبيبى ٠

— أمال احنا فى حضن بعض ازاى ٠

— ساكنين بالصدفة سوا فى نفس الشقة فى الدور الثانى على النيل ٠ وبنبص احنا الاثنين للسقف ٠

— بالضبط وده هو الشىء الوحيد المشتركين فيه ٠٠ للدرجة دى ممكن يتغير الناس ٠٠ أمال فين الدموع والآهات ٠٠ فين أغانى الحب ٠٠ كانت معزوفة بيانو ٠٠ عمود شعر فى صحيفة يومية اتقطعت مع الأيام وبقت ورق تواليت ٠٠ ساعات بحس ان مش بس لازم نبعد كام يوم ٠٠ أبدا ٠ ده احنا لازم نتعرف على بعض من جديد ٠٠ لازم نقابل بعض صدفه فى الصالون الأخضر وأعزمك على شاى

فى جروبى وأسألك على نمرة تليفونك .. وأقول لك اسمك ايه يا مدام .

ـ صحيح فعلا .

ـ احنا مش متجوزين يا حبيبتى .. احنا متطلقين جدا .

ـ صحيح فعلا متطلقين .

وهكذا طلقت الثقافة الرفيعة والدكتوراه والماجستير فى الكورال والهارمونى والتحفة الجمالية .. ده شهيرة سرور .. لأنى لم أعرف ماذا تريد ولا ماذا تحب ولا ماذا يرضيها .. ظننت فى لحظة أن أقصى أملها أن تعيش معى .. فلما عاشت معى رأيتها تهرب منى وتعيش فى غيبوبة الفاليوم .. وتنطوى على نفسها حتى تشبه قوقعة حزن .

وشككت فى عقلى وتفكيرى وعدت أشد شعرى من الوحدة والبؤس .

يا سادة يا كرام ..

أنا أبحث الآن عن بائعة فجل أو بائعة جرجير .. مجرد

انسانة على الفطرة لأتزوجها وأعيش معها على الفطرة البسيطة التى خلقها الله .

امرأة تنظر الى زوجها على أنه ربها وتغسل له رجليه وتطهو طعامه وتشاركه مشاركة التوأم فى كل ما يشركها فيه دون جدل .

امرأة تنظر الى كل ما ينطق زوجها على أنه سماوى ومقدس وتحبه لأنها لابد أن تحبه وليس لأن عندها انفتاحا ذاتيا وانغلاقا استبطانيا يا سادة يا كرام أنا أعلن على الملأ أنى رجل رجعى جدا وبدائى ـ وألعن عصر مسز تاتشر الذى ولدت فيه .. وأرى للأسف الشديد أن عصر الرجل انتهى ..

يا سادة يا كرام ..

نحن المحتاجون الى قوانين أحوال شخصية تحمينا وتنقذنا من استبداد ده شهيرة سرور ماجستير فى الأصوات ودكتوراه فى الكورال من باريس .

يا سادة يا كرام .

نحن أصبحنا جوارى هذا العصر .

انتهينا ..

توبــة

وضع المقامر ألف جنيــه على المــائدة فى تحــد وهو ينظر فى عين الرجل الذى يلاعبه وينفث خيطــا حادا من الدخان •

ـ أتعرف لمــاذا يجد المحب لذة فى عبوديتــه للمرأة التى يحبها •

أجاب الآخر وهو يداق بقايا كأس فى جوفه •

ـ لمــاذا ؟

ـ لأنه لا يفطن انها عبودية بل يخيل اليه أنها حرية •• ألا يكسر القوانين ويحطم الشرائع ويباشر الممنوعات ••

وأخرج خيطا آخر من الدخان •

ـ وكذلك نحن عبيــد القمار لذتنا فى تخيلنا بأننــا نتسلق على كتف القدر وبأننــا نخالسه ونغير ونبدل فى الأرزاق ونسرق من الغيب •

قال الآخر فى ثقة مطلقة :

ـ نعم •• وهذه ألف جنيه مثلها وأتحداك انى سوف

أربح •• اكشف ورقك •• أرأيت ـ كيف خالست القدر وأخذت هذه الألف الأخرى •

ـ انه احساس رائع •• أليس كذلك •

ـ نعم أشبه باحساس الدرويش الذى يخرق الحجب •

ـ احساس يصرع القلب فى المكسب •

وأردف الآخر فى برود •

ـ ويصرعه فى الخسارة •

ثم وضع يده فى جيبه وأخرج شيكا بألف أخرى ألقاه فى بساطة على المــائدة وهو يقول :

ـ كان المقامر فى المــاضى بعــد أن يخسر كل شيء يقامر على زوجته ثم يبيع أولاده •

وفى النهاية حينما لا يبقى الا جسمه يطلق عليه الرصاص ويدفع حياته ثمنا لآخر لعبة •

ـ وأى لعبة ••

ـ لعبة اختراق مائدة الدنيا كلها والذهاب الى الآخرة •

ـ لعبة ليس فيها مكسب أبدا بل خسارة كلية والى الأبد .

ـ ولـكن من يلعبها يتصور دائمـا أشياء أخرى .. يتصور أنه استراح وخرج من عذابه وخرج من نفسه .

ـ وهل خرج أحد من نفســه وهل يستطيع .. تلك أكبر كذبة .

ـ ولكننا أمام هـذه المـائدة على الأقل نخرج من أنفسنا ونأخذ اجازة من عقولنا ولو على مدى ليلة .

ـ بل ما نفعله هو عين أنفسنا وذات أنفسنا .. ذلك التدمير الذى نباشره هو أنفسنا وذلك التهور والسـفه والحمق وتعجل المصير والقفز على كتف القدر وتسـلق أسرار الغيب هو أنفسنا .. ومن يفعل كل هذا غيرنا .. وهل فعلنا ما فعلناه تمثيلا على أنفسنا .. أم أنها الحقيقة .

ـ بل الحقيقة وعين الحقيقة .

ـ وسر لذتنا أننا نعيش حقيقتنا .. هل تصدق أنى أحيانا أشعر برجفة لذة وأنا أقلب الورقة لأعرف الحقيقة .

ـ وهى لذة أقوى من كل لذة ولهذا نضيع فى سبيلها كل شىء .

وقد ظل الرجل أسيرا لهذه اللذة يبـاشرها فى ذهول مقيدا بقيود خفية الى كرسيه حتى طلع الفجر وحتى خسر كل ما يملك .

وحينما قام فى النهاية كان رصيده الضخم فى البنوك قد أصبح صفرا .

وخرج ليمشى وحده على شاطىء النيل والفجر الرمادى يصفع وجهه بنسمات باردة فيفيق على شىء ثقيل كالجدار يمتد أمامه فى الجهـات الأربع فيسد عليـه المسالك فهو يمشى وكأنه لا يمشى ويتنفس وكأنه لا يتنفس .

وشعر أنه مات تماما ولم يبق الا اعلان خبر وفاته .

وانهار على مقعد من المقـاعد الحجرية المتنـاثرة على النيل .

هل يمكن أن يكون للانسان أكثر من نفس واحدة .

انه يشعر الآن بنفس أخرى تتكلم فيه غير تلك التى كان يجلس بها على مائدة القمار .. نفس أخرى لوامة تلومه

وتعتب عليه وتحاول أن تهديه وتبصره وتفتح أمامه أبواب الأمل وترشده الى حياة أخرى شريفة منتجة نافعة غير تلك التى عاشها كابن وحيد وارث للملايين •

وهى تقول له ان كل ما حدث كان نعمـــة •• وانه لم يخسر الا قيوده والا تلك الأغلال التى كانت تجعل منـــه ذلك الرجل الكسول المتواكل الذى يعيش عالة على ثروة رجل ميت وانه من الآن سوف يعمل ويكافح ويرى الحياة فى ضوء جديد •• من الآن سوف يوظف عقـــله فى شىء آخر غير « البوكر والكنكان والبكاراه » وسوف يوظف قدميه ويديه فى شىء آخر غير الذهاب والعودة من الكازينو كل ليلة •

انه سيكون ميلادا وبعثا لانسان جديد وموتا ونهاية لانسان قديم •

ولكن هل مات ذلك المقامر بالفعل أم أن امكانياته فقط هى التى ماتت ••؟!!

لكم تمنى فى تلك اللحظة وهو يستعرض شريط حياته التافه الذى أنفقه على موائد القمار لو أن ذلك المقامر قد مات بالفعل وانتهى الى غير عودة •

لكم تمنى هذه الأمنية بحرقة وصدق واخلاص حتى لقد بدا له كل ما خسر وكل ما فقد وكل ما أنفق •• بدا له كل هذا ثمنا قليلا يدفعه عن طيب خاطر فى سبيل موت هذه النفس التى ضيعته •

ولأنه كان صادقا فقد شكر الله على ما خسر بقدر ما كان يشكره على ما كان يكسب •

ولقد رأى الله صدقه فتاب عليه وكتب له أن يولد من جديد رجلا آخر •

صاحب الجلالة الموت

مدير السجن الحربى الذى كان يعذب المسجونين وينزع أظافرهم ويعلقهم من أرجلهم ويطلق عليهم الكلاب الوحشية ويطفىء سجائره فى المواطن الحساسة من أجسامهم •• مات فى حادث سيارة على طريق مصر اسكندرية الزراعى اصطدم بعربة نقل تحمل أسياخا حديدية •• دخلت الأسياخ فى قلبه وخرجت من ظهره وانتقل الى الآخرة مرشوقا فى هذه الأسياخ ••

والرجل الذى كان يحمل نعش أبيه فى الطريق الى المدافن ويتشاجر على الميراث سقط فى الحفرة التى وضع فيها أبوه فاقد النطق ومات الى جواره بسكتة قلبية •

والمرأة التى اعتادت على تعاطى الحشيش لتطيل لذتها ماتت تحت رجل آخر غير زوجها •• طالت بها الغيبوبة وخرجت من الدنيا الى الله دون توبة •

والذين قفزوا من السفينة الغارقة ماتوا وأكلتهم قروش البحر والعجوز ذو المائة سنة المريض بالسكر والضغط والذبحة الذى لم تسعفه قدماه فى اللحاق بهم والقفز معهم بقى ملقى فى قاع السفينة حتى جاءه رجال النجدة وأنقذوه •

وجراح السرطان الموهوب قتل ابنه خطأ فى عملية تافهة أتفه من فتح خراج •

والاسكندر الأكبر قتلته بعوضة فى بابل •

وفى سنة ١٩ قتل فيروس متناه فى الصغر لا يرى بالعين ولا بالمجهر •• عشرين مليونا بالانفلونزا ••

انه صاحب الجلالة الموت •

أقرب الى كل منا من ظله •• بل أقرب الى الواحد من نطقه •• وأقرب اليه من نفسه التى بين جنبيه •

يجرى فى الدم واللعاب والنبض ويسكن النخاع •

كل منا يحمل نعشه على كتفيه ويسير كراقص على حبل لا يعلم متى يسقط •

ولكنه لابد أن يسقط •• لأن كل الذين سبقوه قد سقطوا •

يا سادتى •• الأرض مغطاة برفات الموتى •

وتحت القاهرة ثلاث مدن وثلاثة عصور تمشى ونرقص على رفاتها وجماجمها •

وغدا يمشى الأحفاد على ترابنا فى لا مبالاة تامة وكل منهم مشغول بحاله ملفوف فى همومه •

نعم انها تلك اللامبالاة التامة يا سادتى هى التى تثير الدهشة .

تلك الحالة الذاتية التى تلف الواحد منا وتغلفه وتطمس على سمعه وبصره وبصيرته فلا يرى الموت تحت قدميه فهو يبكى من الحب أو يخطط لسرقة أو يتآمر على قتل فى هدوء عجيب وثقة وكأنه يعيش وحده وكأن العالم غرفته الخاصة يتصرف فيها على هواه وكأنه خالد مخلد لا يموت بل انه يخطط لموت الآخرين ولا يخطر موته هو على باله لحظة واحدة .

نعم يا سادة تلك الغفلة واللامبالاة التامة هى موضوع حكايتنا الغريبة هذه الليلة .

وبطلنا أذكى رجل فى العالم .

وحينما تعرفون كيف أصبح مليونيرا سوف توافقون معى على أنه أذكى رجل فى العالم بالفعل .

ولندعه يحكى بنفسه بداية القصة .

كان ذلك فى صيف ١٩٥٠ حينما رست فى ميناء الاسكندرية سفينة محملة بمخلفات الجيش .

وصعد السماسرة وتجار المخلفات على سطحها ليفاجأوا بأن كل حمولتها أحذية .. نصف مليون حذاء .. كلها

فردة يمين .. أى أنها لن تنفع بشىء ولن يشتريها أحد بمليم ..

ورفض تاجر واحد أن يمد يده ليشتريها .

وابتدأ المزاد من الصفر وظل واقفا عند الصفر .

وحينئذ تقدمت أنا واشتريت الحمولة كلها بجنيهات قليلة وأنا أتصور أنى ألقى بهذه الجنيهات فى البحر .. وأقول لنفسى .. ربما تظهر لها منفعة فى المستقبل .. وأضحك وأنا أتذكر مقالا قرأته بأن هناك نوعا من البيرة يصنع من منقوع الصرم القديمة .

وألقيتها فى المخزن .

ومر أسبوعان بالضبط .

وفى يوم ثلاثاء كنت أقف على رصيف الميناء .. وكانت هناك سفينة مخلفات ترسو ..

وصعدنا على سطحها لنفاجأ بأن الحمولة كلها أحذية .. نصف مليون حذاء .. كلها فردة شمال .. الجزء المفقود من الصفقة الماضية ولم يتقدم أحد للشراء .. فمن يشترى نصف مليون حذاء كلها فردة واحدة .. ولم يعقد مزاد .

وكنت أنا الشارى الوحيد الذى رست عليه البيعة بجنيهات قليلة .

وهكذا أصبحت مليونيرا فى لحظة وبدون جهد ولا عمل وانما بخبطة حظ قلما يجود بمثلها الزمان .

وهكذا يا سادة بدأ أذكى رجل فى العالم حياته .

ولأن الثروة جاءته بلا جهد وبلا عرق .. ولأنها جاءته على شباب وصحة وفراغ .. فانه كان طبيعيا أن يلهو ويلعب ويرخى الحبل لهواه .

وعرف النوعيات الهابطة من النساء .

وعرف السهرات المبتذلة .

ولكنه كان دائما الرجل الذكى القوى الذى يعرف كيف ومتى ينفض عن نفسه تلك النوعيات الطفيلية ومتى ينبذ اللهو ويفيق ليعاود العمل فى همة ونشاط .

ولكن الأقوياء لا يظلون أقوياء دائما .

وفى كل انسان ثغرة .

حتى أذكى الأذكياء لا يسلم من ضعف يمكن أن يتسلل منه الاغراء وتدخل الفتنة .

ودعوه يحكى بنفسه بقية القصة .

كنت أعيش فى خفة لا أحمل هما لغد ولا ألقى بالا لشيء .. كلما أتمناه أجده .. وكل ما أحلم به أحققه بالحيلة أو بالذكاء أو بالمكر أو بالمال .

وكان كل شيء حولى قابلا للشراء وقابلا للمساومة وكانت الدنيا كلها رخيصة فى متناول اليد .

حتى التقيت بها فى حفل بالسفارة .

امرأة دقيقة التكوين نحيلة كشبح ناعمة حريرية مشعة صوتها هامس يتسلل الى ما تحت الجلد ويسكن العظم .

وعقلها حاد متألق .

وشخصيتها مزيج عجيب من الثقافات والمواهب ..

وروحها مغناطيسية .

وكأنما حولها مجال غير منظور اذا وقعت فى نطاق جاذبيته لا تستطيع أن تبرحه وانما تظل تدور وتدور فيه كما تدور الأقمار حول النجوم .

وقد رأيت نفسى أدور حولها فلا أستطيع الافلات .

ورأيت نفسى سائرا الى احدى نهايتين أن أقترن بها أو أحترق فيها .

ولكنها متزوجة .. وزوجها يعبدها ولن يطلقها بحال .

وهى لا تحبه ولكنها لا تملك أن تطلق نفسها منه •

وضاقت دنياى الواسعة حتى أصبحت زنزانة •

وفارقتنى قوتى •

وهجرنى ذكائى •

وبكيت كطفل •

وعشت لحظات كالجنون •

كانت تقول لى •• نهرب •

وتتشبث بعنقى وتهمس وهى تبكى •• اخطفنى •

ثم مع الوقت والعادة أصبحت هذه الكلمات المجنونة هى العقل والمعقول بالنسبة لنا •

أصبحنا نرى بقية العالم مجانين لأنه لا يرى ما نراه •

وأصبحنا نرى الدنيا مسكنا للبلادة والخمول والغباء والسخف ولم نعد نجد لأنفسنا مكانا فى هذه الدنيا •

وبدأت تختمر فى ذهنى فكرة الهجرة والهرب بها •

وكانت لى أعمال فى السودان وكينيا وأوغندة •

ورأيت نفسى ذات ليلة ودون أن أدرى أخرج بها بجواز سفر مزور طائرا الى السودان •• ومن السودان الى كينيا •

وقضينا شهر العسل فى نيروبى بين مغانى الغابة العذراء

وتحت سماء استوائية تغرد فيها العصافير الملونة وترقص الفراشات •

كان هذا يا سادة هو الفصل الثانى من قصة أذكى رجل فى العالم •

ودعونى أحكى لكم الفصل الثالث والختامى وكان رحلة شاعرية خرج فيها العشيقان لقضاء الويك اند على شواطىء بحيرة « ليك مانيارا » فى فندق البامبو الجميل•• وهو أحد المفاتن الذى يقصده أصحاب الملايين وأهل الفن والذوق للاستمتاع بالموسيقى والحب والرقص والطعام الشهى والخمر الجيدة فى بيئة طبيعية ساحرة تمرح فيها الوحوش والغزلان •

والطريق الى ليك مانيارا تصعد فيه السيارة جبالا شاهقة •• وقمما معممة بالضباب •

وكان صاحبنا يقود السيارة وهو يصفر بفمه لحنا شعبيا ويحتضن محبوبته ويشير الى الخور السحيق الذى يهوى اليه البصر على جانب الطريق •• وفى أقصى القاع يفترش الأرض دغل طبيعى من نباتات وحشية ذات تلافيف متعانقة متشابكة فى معترك من الأغصان والأوراق والأزهار

تتوه فى العين فلا تتبين أرضا •• وانما خضرة متكاثفة على خضرة •

منظر خلاب أخاذ يصيب الرأس بالدوار •

وقد دارت رأسا الاثنين بخمرة النظر •

وذابا حبـــا •

والتقت الشفاه على ارتفاع تسعة آلاف قدم وسقطت العربة فى حفرة وفى لحظة خاطفة كانت تتدحرج فى الخور كالقذيفة •

وبعد دقيقة كانت تستقر على القاع محطمة •

أما هو فكان راقدا فى وعيه ولكن بلا حراك بسـبب كسور فى عظام الحوض •

أما هى فكانت تهمس وتتلوى ثم تفقد الوعى بسبب النزيف ثم تعود فتفيق فتعود الى الهمس المخنوق والتأوه وكان سقوطهما وسط مستعمرة للنمل الأحمر •

وزحفت عليهما جيوش النمل •

نعم يا سادة أكلهما النمل وهما أحياء فاقدا الحراك ينظر كل منهما الى الآخر ولا يقوى على الصراخ •• ولا يقوى على الدفاع عن نفسه •

وانتهت قصة أذكى رجل وأجمل امرأة •

ولم يبق أثر للقصـــة سوى ذلك الاعــلان المتكرر فى جميع الجرائد الذى ظل ينشر بالقاهرة على مدى أسابيع عن السيدة التى خرجت من بيتها ولم تعد ومعه نشرة كاملة بأوصافها •• بيضاء نحيلة سوداء الشعر زرقاء العينين فى جاكيت وبنتالون من القطيفة السوداء وكرافات تركواز ، وعلى من يتعرف عليها الاتصال بالتليفون كذا •

وكان القراء يقرؤون الاعلان كل يوم •• ولم يكن أحد منهم يعلم أنها أصبحت هى وصاحبها فتاتا فى بطن ستمائة ألف نملة من النمل الأحمر فى وسط افريقيا الاستوائية •

انه صاحب الجلالة الموت •

والكل فى غفلة ••

* صدر للمؤلف *

١ ـ الله والانسان :

مجموعة مقالات كتبت فى صيف ١٩٥٥

٢ ـ أكل عيش :

مجموعة قصص قصيرة كتبت بين ١٩٥٢ ـ ١٩٥٤

٣ ـ عنبر ٧ :

مجموعة قصص قصيرة كتبت بين ١٩٥٥ ـ ١٩٥٧

٤ ـ شلة الأنس :

مجموعة قصص قصيرة كتبت بين ١٩٦٢ ـ ١٩٦٤

٥ ـ رائحة الدم :

مجموعة قصص قصيرة كتبت بين ١٩٦٥ ـ ١٩٦٦

٦ ـ ابليس :

دراسة كتبت فى عام ١٩٥٧ ـ ١٩٥٨

٧ ـ لغز الموت :

دراسة كتبت فى عام ١٩٥٨ ـ ١٩٥٩

٨ ـ لغز الحياة :

دراسة كتبت فى عام ١٩٦٧

٩ ـ الأحلام :

دراسة كتبت فى عام ١٩٦١

١٠ ـ اينشتين والنسبية :

دراسة كتبت فى عام ١٩٦١

١١ ـ فى الحب والحياة :

مجموعة مقالات كتبت بين ١٩٦١ ـ ١٩٦٦

١٢ ـ يوميات نص الليل :

١٣ ـ المستحيل :

رواية كتبت فى عام ١٩٦٠

١٤ ـ الأفيون :

رواية كتبت فى عام ١٩٦٤

١٥ ـ العنكبوت :

رواية كتبت فى أوائل عام ١٩٦٥

١٦ ـ **الخروج من التابوت :**

رواية كتبت فى أوائل عام ١٩٦٥

١٧ ـ **رجل تحت الصفر :**

رواية كتبت فى عام ١٩٦٦

١٨ ـ **الاسكندر الأكبر :**

مسرحية كتبت فى صيف ١٩٦٣

١٩ ـ **الزلزال :**

مسرحية كتبت فى صيف ١٩٦٣

٢٠ ـ **الانسان والظل :**

مسرحية كتبت فى عام ١٩٦٤

٢١ ـ **غومـا :**

مسرحية كتبت فى شتاء ١٩٦٨

٢٢ ـ **الشيطان يسكن فى بيتنا :**

مسرحية كتبت فى أبريل ١٩٧٣

٢٣ ـ **الغـابة :**

رحلة الى أفريقيا الاستوائية كتبت فى أكتوبر ١٩٦٣

٢٤ ـ **مغامرة فى الصحراء :**

رحلة الى الصحراء الكبرى فى صيف ١٩٦٩

٢٥ ـ **المدينة (أو حكايات مسافر) :**

مجموعة سفريات الى أوروبا بين ١٩٥٦ ـ ١٩٦٨

٢٦ ـ **اعترفوا لى :**

مختارات من رسائل القراء بين ١٩٥٦ ـ ١٩٥٩

٢٧ ـ **٥٥ مشكلة حب :**

مختارات من رسائل القراء بين ١٩٦٠ ـ ١٩٦٦

٢٨ ـ **اعترافات عشاق :**

مختارات من رسائل القراء بين ١٩٥٦ ـ ١٩٦٦

٢٩ ـ **القرآن محاولة لفهم عصرى :**

دراسة كتبت فى شتاء ١٩٦٩

٣٠ ـ **رحلتى من الشك الى الايمان :**

دراسة كتبت فى عام ١٩٧٠

٣١ ـ **الطريق الى الكعبة :**

رحلة حج كتبت فى عام ١٩٧١

٣٢ ـ **الله :**

دراسة كتبت فى أوائل ١٩٧٢

٣٣ ـ **التـوراة :**

دراسة كتبت فى أوائل ١٩٧٢

٣٤ ـ **الشيطان يحكم :**

مجموعة مقالات كتبت بين ١٩٦٥ ـ ١٩٧٠

٣٥ ـ **رأيت الله :**

دراسة كتبت فى صيف ١٩٧٣

٣٦ ـ **الروح والجسد :**

مجموعة مقالات كتبت فى شتاء ١٩٧٣

٣٧ ـ **حوار مع صديقى الملحد :**

مجموعة مقالات كتبت فى مارس ١٩٧٤

٣٨ ـ **الماركسية والاسلام :**

صدر عن دار المعارف فى فبراير سنة ١٩٧٥

٣٩ ـ **محمد :**

صدر عن دار المعارف فى يوليو ١٩٧٥

٤٠ ـ **السر الأعظم :**

صدر عن دار المعارف فى ديسمبر ١٩٧٥

٤١ ـ **الطوفان :**

مجموعة قصص ومسرحيات قصيرة يناير ١٩٧٦

٤٢ ـ **الأفيون :**

سيناريو وحوار مارس ١٩٧٦

٤٣ ـ **الوجود والعدم :**

دراسة ١٩٧٧

٤٤ ـ **من أسرار القرآن :**

دراسة ١٩٧٧

٤٥ ـ **لماذا رفضت الماركسية :**

دراسة ١٩٧٦

٤٦ ـ **نقطة الغليان :**

مجموعة قصص قصيرة ١٩٧٧

٤٧ ـ **عصر القرود :**

دراسة كتبت فى يناير ١٩٧٨

٤٨ **القرآن كائن حى :**

دراسة كتبت فى يناير ١٩٧٨

٤٩ ـ **أكذوبة اليسار الاسلامى :**

دراسة كتبت فى أغسطس ١٩٧٨

٥٠ ـ **المسيخ الدجال :**

مجموعة قصص قصيرة كتبت بين ١٩٧٨ ـ ١٩٧٩

٥١ ـ **نار تحت الرماد :**

مجموعة مقالات كتبت فى ١٩٧٩

* مجموعات المؤلف الكاملة *

قصص مصطفى محمود :

صدرت فى بيروت عام ١٩٧٢

روايات مصطفى محمود :

صدرت فى بيروت عام ١٩٧٢

مسرحيات مصطفى محمود :

صدرت فى بيروت عام ١٩٧٢

رحلات مصطفى محمود :

صدرت فى بيروت عام ١٩٧٢

حازت رواية « رجل تحت الصفر » على جائزة الدولة لعام ١٩٧٠

* تحت الطبع *

أناشيد الاثم والبراءة

المطبعة العربية الحديثة
٨ شارع ٤٧ بالمنطقة الصناعية بالعباسية
تليفون : ٨٣٦٢٨٠ القاهرة

رقم الإيداع ٤٣٣٤/٧٩
الترقيم الدولى ٣ — ٣٦٧ — ٢٥٦